جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

المجلة العلمية

تنوع مقامات أساليب طمأنة النَّفس في مقام الخوف في القرآن الكريم بين تنوع المخاطبين وثراء الدلالة

إعداد

د/ صابرين محمد محمود عبد الرحمن

المدرس في قسم البلاغة والنقد

كلية البنات الإسلامية بأسيوط-جامعة الأزهر

(العدد الواحد والعشرون)

(يونيه ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م)

تنوع مقامات أساليب طمأنة النَّفس في مقام الخوف في القرآن الكريم بين تنوع المخاطبين وثراء الدلالة

صابرين محمد محمود عبد الرحمن

قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر،مصر.

البريد الإلكتروني:Ta٠٢٦١٩٩@gmail.com

الملخص

دراستي في هذا البحث من الدراسات التي أحسبها بمثابة نفحة ربانية علاجية للنفس في مقام الخوف؛ فإذا كان فيه طمأنة للقلوب على وجه العموم، فإن في هذه الدراسة طمأنة للقلوب على وجه الخصوص؛ إذ هي تتجه إلى الأخذ في طمأنة النَّفس في مقام الخوف، فتبين لنا المواطن في القرآن الكريم التي وقعت فيها النَّفس تحت وطأة الخوف، وكيف كان علاج القرآن لها في مثل هذه المواقف وأشباهها، فنسير على منهج من سبَقَنا من عباد الله الأنبياء والصالحين من بعدهم.

وقد جاء عنوان هذه الدراسة "تنوع مقامات أساليب طمأنة النَّفس في مقام الخوف في القرآن الكريم بين تنوع المخاطبين وثراء الدلالة". لتقوم على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث تكتنف العديد من المظاهر التي أبانت عن مواطن طمأنة النفس في مقام الخوف، وظهر في التحليل كيف تنوعت الأساليب بإزاء كل موطن عملت فيه على إقناع النَّفس بضرورة التدرع بمثل ما قدمته لنا الآيات الكريمة وما فيها من توجيه حدثت بإزائه الطمأنة في مقام الخوف مع بيان تفاوت هذه الطمأنة؛ للتفاوت الحاصل بين حقيقة المطمئِنين كما تبين في البحث.

وقد خَلُصَت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها أن: اختلف أثر كل من طمأنة الله عز وجل لعباده عن طمأنة البشر بعضهم بعضا، فطمأنة الله عز وجل تموج بالقوة المستمدَّة من قوته عز وجل وصِدْق وعْده، بينما طمأنة البشر إذا ما قيست بطمأنة الله عز وجل، نجدها هي الطمأنة الضعيفة المستمدة من ضعف صاحبها –بنو البشر–. ولأن طمأنة الله عز وجل لعباده هي الأصل نجدها قد وردت بكثرة، كثرة تنم عن عظيم رحمته؛ فهو الخالق والعالم بمدى الأساليب التي هي أكثر دلالة على إيصال هذا المعنى– من رحمته بهم وطمأنته لهم–، وقد كان ذلك من خلال سَوْق العديد من الأساليب، حيث أسلوب النهي والأمر والنفي، والحوار القائم على الإغراء بحصول الأمن وطمأنينة النفس.

وقد أوصت الدراسة في نهاية البحث بالعديد من التوصيات كان منها: الدعوة إلى إقامة دراسة دامجة بين أسلوبي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الحديث عن طمأنة النَّفس في مقام الخوف "دراسة موازنة". لتبين مدى دقة الكلمة القرآنية وبيان علاقة ذلك بإعجاز القرآن. هذا، وغير ذلك من التوصيات التي وردة في نهاية هذا البحث. والله هو الموفق.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، النفس في مقام الخوف في القرآن الكريم، الدلالة.

Diversity of Qur'anic Style for Reassuring the Self when Struck with Fear: Between the Diversity of Addressees and the Richness of Meaning

Sabreen Muhammad Mahmoud Abdulrahman,
Department of Rhetoric and Criticism, Islamic Faculty for Female Students, Assiut, Al-Azhar University, Egypt
Ta٠٢٦١٩٩@gmail.com

Abstract

This research is presented in an introduction, a preface, and three sections that encompass various aspects highlighting the sources of self-reassurance in times of fear. The analysis reveals the diverse methods employed to convince oneself of the necessity of adopting the guidance provided by the noble verses, which bring about reassurance in times of fear. The study also details the varying degrees of this reassurance, reflecting the differences among those seeking reassurance, as demonstrated in the research. This study concludes with a set of findings, the most important of which is the difference between Allah's reassurance to His servants and the reassurance humans give to each other. Since Allah's reassurance to His servants is fundamental, it is mentioned frequently, reflecting His immense mercy, for He is the Creator Who knows the most effective methods to convey this meaning– His mercy and reassurance to them. This has been achieved through various methods, including prohibition, command, negation, and dialogue aimed at encouraging the attainment of security and peace of mind. The study concludes with several recommendations, including a call for an integrated study combining the approaches of the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet in discussing the reassurance of the soul in the face of fear– a comparative study. This is to illustrate the precision of the Quranic word and to highlight its miraculous nature.

Key words: styles – the self when struck with fear – semantic reference

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإنَّ مقام الخوف لَمِن أشد المقامات التي تكون فيها النفس أحوج إلى حلول الطمأنة بها، لا سيما القلب؛ لأن الخوفَ أول ما نجده، نجده يحل بالقلب فيروعه؛ كل حسب شدة الموقف وتفاوت الحدث، مما يجعل هناك فروقًا في الأساليب، وطرقًا في التعابير هي في حقيقتها الأصل الذي ترجع إليه الدراسات البلاغية، إذ تأخذ بنا إلى التدقيق في سبب إيثار أسلوب على آخر في ظل مقام واحد لا سيما مقام الخوف، وكيف كان لهذا الأسلوب –دون غيره– الأثر البين في تلاشيه، وهذا "من مظاهر إعجار القرآن الكريم، حيث تميُّز الأسلوب القرآني وتعدُّدِه، فالله عزَّ وجل هو الخالق لهذه النفوس والعالم بالطبيعة التي تليق بها"[(١)]؛ ومن ثم كان اختلاف الأساليب أمرًا بديهيًا ليطابق في ذلك اختلاف وتنوع المخاطبين تنوعًا استدعاه المقام الداعي إلى ذلك والذي نراه كأنه ضمادة ربانية جاء لطمأنة النفس من خوفها واضطرابها، حيث الأسلوب الملائم الذي نلحظ مخالفته غيره حسب مقام الخوف الذي ورد فيه.

سبب اختيار موضوع البحث:

هذا، ولما كان الخوف هو السِّمة البارزة بإزاء كل موقف من مواقف هذه الحياة، تاقت النَّفس إلى دراسةٍ يُتوسَّم فيها نوع معالَجة إن لم تكن هي الأساس في معالجة

(١) أسلوب إهانة الكفار في الدنيا في القرآن الكريم بين السياق والدلالة، للباحثة/ دعاء محمدين محمود عبد الله، ص١، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسيوط، الدراسات العليا والبحوث، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

خوف النفس وفزعِها، حيث قيامِها على ما ورد في نبراس هذه الأمة- القرآن الكريم- من الآيات الواردة في طمأنة النَّفس في مقام الخوف، فالنفس إذا ما استحضرت كلام الله عز وجل وهديه في كيفية مواجهة الخوف، لا شك كانت أشد طمأنينة وأكثر سكينة، أليس هو القائل عزَّ وجل:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: ٢٨]، فما بالنا إذا ما تذكرنا تلك الآيات الخاصة بخوف النفس وهلعها وقلقها واضطرابها، إيمانًا وعلمًا بأنَّ توارد مقامات الخوف على مرّ العصور والأزمان نجدها مكررة مع اختلاف الأماكن والأشخاص حسب متطلبات كل عصر وزمان، وهذا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، حيث صلاحية منهاجه لكل ظرف ومكان حتى تقوم الساعة.

هدف البحث:

يكمن هدف البحث في الدعوة إلى الإحاطة بمقامات الخوف التي وردت فيها طمأنة النفس، وكيف كانت دقة اللفظة القرآنية في إحداث هذه الطمأنة، وذلك من خلال الأساليب التي تنوعت أشكالها تلاؤمًا مع مقامات خوف النفس واضطرابها، ثم الإفادة من مثل هذه المواطن بأنه: كيف تكون مداواة النفس ومعالجتها نفسيًا بالطمأنة لها؟ كل حسب الموقف الذي وقع فيه الخوف لها.

هذا بالإضافة إلى السعي أن يكون هذا البحث لبِنة من لبنات المعالجة النفسية لحالة تنتاب الكثير من الناس وهو الخوف، لا سيما وقد كان مصدرها أعظم ما أنزل الله عز وجل وأصدقه –القرآن الكريم–، وذلك من خلال توصل البحث في خاتمته إلى معرفة حقيقة المواطن التي وقع فيها الخوف، وكيف قابل ذلك في النفس؟ وكيف تمت معالجته؟؛ ليكون ذلك قدوة لنا في مسيرة حياتنا. قال تعالى:".. فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ " [الأعراف:١٧٦]، وقال:" لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ " [يوسف: ١١١].

الدراسات السابقة:

في ظل الرجوع إلى الدراسات التي تقترب من دراستي المتواضعة وجدت بعض الدراسات التي تشبه دراستي من حيث التعرض للخوف في القرآن الكريم، وقد تنوعت هذه الدراسات ما بين دراسات تناولت الخوف من جانب البلاغة، وأخرى تناولته من جانب الإبانة عن مواقعه في القرآن الكريم وهي كالآتي:

١ – دوال الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)[١]، وفيها عرضت الباحثة إلى الخوف من الوجهة الدلالية له ولمشتقاته، ثم قامت بالكشف عن الأساليب البلاغية التي وردت في آيات الخوف في القرآن الكريم من ظواهر الالتفات، والإطناب، والقصر، وظواهر الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية، والاستعارة، والتشبيه والمجاز والكناية. هذا، ثم عرضت إلى مضامين الخوف ومشتقاته في الآيات التي ورد فيها معنى الخوف، فقامت بشرح الآيات وتوضيحها في ظل الأساليب البلاغية السابق ذِكرها دون تحليل بلاغي.

٢ – السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم –دراسة دلالية–[٢] وفيها قام الباحث بالكشف عن الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكل من "السكينة والطمأنينة"، ثم كيف كان استعمالهما في القرآن الكريم من حيث ذِكر كل منهما في مواضعها التي وردت لا يعني توحيد دلالاتها ومعانيها؛ اعتمادًا على أن الاستعمال السياقي أساسًا في تحديد الدلالة[٣]، ثم عمد إلى الإبانة عن الفرق بين كل منهما فرقًا استنباطيًا وفقًا لسياقات الذكر الحكيم، مما يجعل الدراسة دراسة لغوية تفسيرية.

---

(١) رسالة ماجستير، للباحثة/ خولة توفيق السكني، وهي رسالة معدة لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية– غزة، كلية الآداب–قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩م.

(٢) بحث بمجلة كلية العلوم الإسلامية، م. م/ صلاح الدين سليم محمد، المجلد السادس– العدد الثاني عشر، ٢٠١٢م.

(٣) الرسالة السابقة، ص٦.

٣ –الخوف في القصص القرآني[١]، وفيها قام الباحث بتناول حدود مصطلح الخوف ومرادفاته من (الفزع، الوجل، الروع، الرهبة... إلخ)، ثم قام بتحديد مصطلح القصص القرآني، ثم قام بتقسيم الخوف حسب المعاني التي دل عليها الخوف في القصص القرآني وكيف كان علاج الأنبياء عليهم السلام للخوف كما ورد في القصص القرآني.

٤ –الخوف والرجاء في القرآن الكريم[٢]، وقد جاءت هذ الدراسة وهي تدور حول المقابلة بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم عن طريق بيان المفهوم تارة، وتارة في بيان درجات كلٍ، وأسبابهما، ومظاهرهما، وأخرى في بيان آثار وفضائل كلٍ.

ومن بيان طبيعة الدراسات السابقة تبين مدى تباين منهج هذه الدراسات وبحثي، فالدراسة التي تناولت الجانب البلاغي جاءت قاصرة على بيان ما ورد في آيات الخوف من أساليب بلاغية مطلقة دون أدنى تحليل بلاغي وبيان لأثره بيانًا شافيًا كما هو معهود في الدراسات البلاغية.

هذا، وما تلاها من رسائل كان أقرب في تناوله إلى الأدب واللغة أكثر منه من البلاغة، فلم تعرض دراسة من هذه الدراسات إلى الجانب الدقيق الذي عرض له هذا البحث قيد التحليل من " تنوع مقامات أساليب طمأنة النفس في القرآن الكريم.. إلخ"، فقد اختلف قالَبًا– من حيث الوقوف على مقامات أساليب الطمأنة فقط دون الوقوف الأصيل على مادة الخوف كما في الدراسات السابقة– ومضمونًا –من حيث الاتكاء على الآيات التي تتناول مقامات ومعاني أساليب الطمأنة فقط دون مطلق آيات الخوف–.

---

(١) رسالة ماجستير، عبد القادر محمد فتحي المطري، وهي رسالة معدة في الدراسات الإسلامية المعاصرة، كلية الآداب– جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١١م.

(٢) رسالة ماجستير للباحثة/ سهاد تحسين إلياس دولة، رسالة في قسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية في نابلس– فلسطين، ٢٠٠٧م.

منهج البحث، وخطته:

اتخذ البحث عدة مناهج، فقد انتهج المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي، حيث قمت بتتبع شواهد طمأنة النفس في القرآن الكريم، ثم قمت بتقسيم هذه الشواهد حسب المقامات التي استدعت الإتيان بأسلوب طمأنة يغاير آخر، كلٌ حسب ما اقتضاه المقام، فتبين بالتحليل كيف كانت دلالة كل أسلوب في موضعه تبعًا لسياقه، مما أسفر عن تولد البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث كالآتي:

المقدمة، وفيها سبب اختيار موضوع البحث، وهدفه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد، وفيه:

أولًا: مفهوم الأسلوب، ثم خصائصه في إحداث طمأنة النفس.

ثانياً: الكشف عن حال النَّفس في مقام الخوف في القرآن الكريم.

ثالثاً: مفهوم الدلالة.

المباحث، وهي:

المبحث الأول: أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف المتعلق بأحوال الأسرة.

المبحث الثاني: أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف الوارد في القصص القرآني.

المبحث الثالث: أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف الوارد في أحوال المخاطبين.

التمهيد

أولًا: مفهوم الأسلوب، وخصائصه في إحداث طمأنة النفس.

يأتي مفهوم الأسلوب في اللغة وهو يطلق على السطر من النخيل، فقالوا:".. ويقال للسطر من النخيل أسلوبٌ وكل طريق ممتد فهو أسلوب"(١)، وقيل يجمع الأسلوب على "أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب بالضم الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانينَ منه"(٢) مما يدل على أخذه في التنوع الذي منه أيضًا نبات السَّلَبْ، فـ "السَّلَبُ نباتٌ ينبت أمثال الشمع الذي يستصبح به في خلقته إلا أنه أعظم وأطول تتخذ منه الحبال على كل ضرب"(٣)، مثلها في ذلك مثل الأساليب وهي "الفنون المختلفة"(٤).

ومن ثم نستطيع أن نأتي إلى تعريف الأسلوب في الاصطلاح كما تواضع عليه المتأدبون وعلماء العربية من أن "الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم

---

(١) لسان العرب، ابن منظور،١/ ٤٧١ (سلب)، ط الأولى، دار صادر- بيروت.

(٢) السابق نفسه، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٢٩٣هـ)، ١/ ١٤٩، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، ط الرابعة، دار العلم للملايين- بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت٤٥٨هـ)، ٨/ ٥٠٥، ت/ عبد الحميد هنداوي، ط الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ص٤١٩، ت/ صفوان عدنان الداودي، ط الأولى، دار القلم، دمشق- بيروت، ١٤١٢هـ.

كذلك"[١]، وقد ورد في تعريفه بأنه هو "طريقة التفكير والتصوير والتعبير مجتمعة"[٢]، وجاء فيه أيضًا أنه يكمن في الموضوع والكاتب في شخصيته وأسلوبه[٣].

هذا، وإذا كان الأسلوب دلنا على أنه يكمن في الموضوع والكاتب، فإنه يأخذنا إلى ضرورة تنوعه، فمن المعلوم عدم توحيد الموضوعات كما هو مستحيل أن يتحد الكُتَّاب حتى وإن تناولوا الموضوعات نفسها، فلا بد وأن يختلف تناولها باختلاف شخصية كاتبها، وهو ما أكده الشَّايب في أسلوبه بقوله:".. يختلف الأسلوب باختلاف الموضوع، وقد رأينا أن ذلك الاختلاف اللفظي إنما كان ظاهرة محتومة لاختلاف طبيعة الفنون الأدبية من حيث عناصرها المعنوية أولًا، وغاياتها التعليمية أو التأثيرية أو كلتيهما.. فكان لكل من المقالة والقصيدة، والخطابة والرواية أسلوب خاص"[٤]. ومن ثم يتبين أن "لا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به"[٥]، لا سيما في تحقيق الطمأنة للنفس في مقام الخوف، سبيله في ذلك سبيل أي موضوع يتناوله مما يجعل السياق يتوجه إلى تحديد الأسلوب المرجو والطريق الأنسب، الأمر الذي يجعلنا نخلص إلى خصائص الأسلوب في إحداث طمأنة النفس في القرآن الكريم، فهناك العديد من الأساليب التي أشعرتنا بحدوث طمأنة النفس، وذلك لاختلاف السياقات والمعاني والأفكار التي هي سبب رئيس في تولد هذا التنوع للأساليب، فتارة تأتي الطمأنة صريحة في ظل الإفصاح عن الخوف، فيكون ذلك من قبيل بيان جانب من جوانب فضل الله على عباده ورحمته بهم، وتارة تأتي في ظل الوعد بعظيم ما أعده الله عز

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)، ٢/ ٣٠٣، ط الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) فن المقالة، محمد يوسف نجم(ت ١٤٢٠هـ)، ص٩٨، ط الأولى، دار صادر– بيروت، دار الشروق– عمان، ١٩٩٦م..

(٣) ينظر: الأسلوب، أحمد الشايب، ص٧، ط الثانية عشرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٢م.

(٤) المرجع السابق، ص١٢١.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/ ٣٠٣.

وجل لعباده لا سيما في ظل الخوف من مقامه عز وجل على النحو الذي أخبر عنه في غير موضع، ومنه قوله تعالى:" وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ " [الرحمن: ٤٦]، وقوله:"وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾" [النازعات: ٤١-٤٠].

خصائص أسلوب الطمأنة:

تأتي هذه الخصائص لتنبه النفس إلى الحل العلاجي الذي تجد فيه طمأنتها وسكون سريرتها ونجملها على النحو الآتي:

١ – سرعة الإفصاح عن الطريق الأمثل الذي تجد فيه النفس الحل لمشكلتها فيُساق في سبيل ذلك تعقيب الطمأنة للفاء العاطفة التي تفيد الترتيب والتعقيب، ليدلنا ذلك على سرعة التنبه للحل العلاجي والأخذ به في اعتبار النفس لا سيما أن عوامل الطمأنة تتعلق بالنفس المسلمة المؤمنة، فتزداد ثقتهم في توجيه الخالق عز وجل لهم، ومن ثم الثقة في تحقق الوعد، قال تعالى:" فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " [الأنعام: ٤٨]، وقوله:" يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ " [الزخرف: ٦٨]، وقوله:"أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" [يونس:٦٢] .

٢ –انتهاج الأسلوب الخبري الذي يحمل في طياته معنى البشارة للمؤمنين بتحقيق موعود الله عز وجل، هذا الأسلوب تارة يأتي بالمؤكدات التي تتلاءم والسياق الذي وردت فيه؛ لتعمل على زيادة طمأنة النفس بصدق تحقق وعد الله عز وجل وأنه نافذ لا محالة، وتارة تأتي خالية من مؤكداتها لتهدينا إلى أن هذا الأمر –من الطمأنة– إنما هو من الأمور المُسَلَّم بها في تحقيقها، بل ليأخذ المؤمن في تخيل ما وُعِد به وكأنها قد صارت واقعة محققة لا محالة، فلا داعي لقلق النفس واضطرابها.

٣ –قيام الطمأنة في أسلوبها الرئيس على إعلان معنى ضرورة نفي الخوف عن هذه النفس المؤمنة والنهي عن حدوث ذلك، وكأنه عز وجل يريد أن يعلمنا أن الأليق بالنفس المؤمنة هو أن لا تخاف سوى منه عز وجل وأنَّ كل ما عداه هين، ومن ثم ندرك أنَّ الله عز وجل يربي عباده المؤمنين على الشجاعة والقوة التي هي سمة العبد المؤمن المحبوب منه والمحبب إليه. قال رسول الله ﷺ:" **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فَعَل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**"(١).

٤ – ملاءمة معنى الطمأنة وأسلوبها لخبر الإعلان عن الخوف لتغطية مقام الخوف بأكمله، من توفر الطمأنة وتحقق وقوعها كما تحقق وقوع الخوف، ومن ثم تكتمل صورة الموقف بأكمله وكأنه قانون من قوانين حالات الخوف الذي ظهر فيها بأنه كيف يكون العلاج في مثل هذه الحالات؛ إذ تكون لنا عبرة نقتدي بها في حياتنا كما قال تعالى: "وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ "[آل عمران: ١٤٠].

ثانياً– الكشف عن حال النفس في مقام الخوف في القرآن الكريم.

جاءت لفظة الخوف في اللغة لتدلنا على حالة من الفزع، فـ "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع. يقال خفت الشيء خوفًا وخيفة"(٢)، وقال عنه الأصفهاني هو: "توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة"(٣).

---

(١) الحديث عن أبي هريرة" حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وابن نمير، قالا: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن ربيعة بن عثمان، عن محمد بن يحيى بن حبَّان، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ.. الحديث". صحيح مسلم (ت٢٦١هـ)، ٤/٢٠٥٢، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) مقاييس اللغة، ٢/ ٢٣٠، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص٣٠٣.

وإذا كان هذا هو مكمن الخوف في حقيقته اللغوية فإنه في القرآن لا يبعد عن ذلك، إلا أنه قد تعددت مقاماته في كتاب الله عز وجل، فهناك الخوف المحمود الذي يرتضيه الله عز وجل لعباده، بل ويمدحهم على ذلك. قال تعالى:" وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ " [المؤمنون:٦٠]، وهذا هو الخوف الذي يتعلق بالخوف من جلال الله عز وجل ومقامه، ولا شك أن هذا الخوف هو أجل أنواع الخوف بل هو الأصل، وكما أن الله عز وجل يرتضي هذا النوع من الخوف نجده لا يرتضي ما كان على النقيض من ذلك الذي أخبر عنه عز وجل بقوله:".. إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ "[آل عمران: ١٧٥]، هذا بالإضافة إلى أنواع أُخر من الخوف تتعلق بضعف النفس البشرية فطريًا؛ حيث القلق مما يُتوقَّع حدوثه لا سيما إذا ما توفرت مقدماته التي تنذر بذلك. ومن خلال تطوافي في بحثي فقد لوحظ ذلك –أي وقوع الخوف– عند الأنبياء، فما بال العوام من الناس؟! ومن هذا وذاك كان مناط الدراسة في البحث.

ثالثاً: مفهوم الدلالة.

جاءت الدلالة من الدليل؛ "لأن لفظ الدليل يدل على الدلالة وهو كقولك سر على اسم الله"[(١)]، وهو ما أكده قول ابن فارس من أن "الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها.. قولهم: دللت فلانا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة"[(٢)]. **هذا معنى الدلالة في الجانب اللغوي، أما في الاصطلاح:** هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، كدلالة لفظ "محمد" على الذات المعينة، إذ يلزم من العلم بمحمد –أي: العلم بوضعه للذات المعينة– العلم بهذه الذات أي: فهمها منه، والأول هو الدال، والثاني هو المدلول. وقيل في تعريفها: فَهْم

(١) لسان العرب، ١١/ ٢٤٧.

(٢) مقاييس اللغة ، ٢/٢٥٩.

أمر من أمر، كفهم الذات المعينة من اللفظ في المثال المذكور، فالأمر الأول "في العبارة المذكورة" هو المدلول. والثاني هو الدال عكس الأول"[١].

وقد قُسِّمت الدلالة إلى قسمين، وذلك باعتبار الدال ".. لفظية. وغير لفظية. فاللفظية: ما كان الدال فيها لفظا، كدلالة لفظ إنسان على الحيوان الناطق، وكدلالة لفظ إنسان على الحيوان المفترس. وغير اللفظية: ما كان الدال فيها غير لفظ، كدلالة الدخان على النار. وكدلالة حمرة الخد على الخجل، أو صفرته على الوجل،... وهذه الدلالة لا علاقة لها بمباحث علم البيان"[٢] الذي جعل فيه السكاكي مبحثًا للدلالة، وكان قد قسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام في مفتاحه:

١ –دلالة المطابقة (دلالة وضعية).

٢ –دلالة التضمن (دلالة عقلية).

٣ – دلالة الالتزام (دلالة عقلية أيضًا)[٣].

الدلالة القرآنية على الطمأنة: من المعروف أنَّ للسياق أثره في تطويع معاني اللغة ذات اللفظة الواحدة كما أنه من أساسياته استجلاب البنى الكلامية التي تعين على معرفة مراد المتكلم؛ فهي "من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم"[٤]، ومن ثم يعمل عمله على كيفية تطويع الأسلوب للدلالة على معنى الطمأنة وحلولها في النفس بعد خوفها، فتارة نجد دلالة الطمأنة تصب في قالَبٍ من التَّوجيه والإرشاد لإحداث الطمأنة وذلك في سياق الخوف الذي يحدث اضطرابا وعدم القدرة على إيجاد الحلول في قضية لا تكتفي الطمأنة فيها بمطلق الكف عن الخوف وذلك كما نرى في قوله تعالى:"

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ٨٢/٣، المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) السابق نفسه، ٣/ ٨٢، ٨٣.

(٣) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ص ٣٢٩،٣٣٠، ت/ نعيم زرزور، ط الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

(٤) بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ٩/٤، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ "[النساء: ٣٤]، فالآية الكريمة جاءت في سورة النساء وهي تقص جانبًا من جوانب بناء الأسرة، وبناء الأسرة يحتاج من النصائح والتوجيهات التي تضمن لها تحقق الأمن والاستقرار، فجاءت الطمأنة في ثوب تعدد الوسائل المحققة لها في قوله تعالى:" فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ " بفعل الأمر؛ ليدل على ضرورة الالتزام بهذا العلاج في حال توقع فكاك الأسرة.

هذا، وتارة تأتي دلالة الطمأنة وهي منصرفة إلى مطلق النهي عن الخوف، إلا أنه قد تنوعت دلالة الطمأنة، فتارة يعبر عنها بالنهي عن الخوف، وتارة بالنهي عن الوجل وذلك في قوله تعالى:" قَالُواْ لَا تَخَفۡ " [هود: ٧٠]، وقوله:" قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ". ولا شك أن لكل من التعبيرين الدلالة الألصق بسياقها"[(١)]، إذ عند النص على إحداث الطمأنة بالنهي عن الخوف نلحظ أنَّ سياقات الآيات التي جاء فيها النص على الطمأنة بعدم الخوف جاءت وهي تُظهر الترقب لحدوث مخوف يخاف وقوعه عاجلًا أو آجلًا، ففي سياق آيات سورة القصص مثلا نجد النهي عن الخوف يشيع في الاضطراب الناتج عن الخوف مما يُتوقع حدوثه. قال تعالى قبل التعبير بطريق الطمأنة:" .. فَأَصۡبَحَ فِي

(١) حيث إنه عند التعبير بالخوف يكون هناك شعور بتوقع مكروه، والوجل يكون فيه نوع قلق، يقال وجل الرجل وجلا.. لم يطمئن ويقال أنا من هذا على وجل، ومن ذلك على طمأنينة ولا يقال على خوف. ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ٢٦٢/١، ت/ مجمع اللغة العربية، دار الدعوة. الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، ص ٢٤٣، ت/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر.

ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ " [القصص:١٨]، وقال:"وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ " [القصص:٢٠-٢١]. فجاءت الطمأنة وهي من نوع الحدث بالنهي عن هذا الخوف؛ لإشعار موسى عليه السلام بأنَّ هذا الخوف سرعان ما سيزال من نفسه، وهو ما يؤكده التعبير بالفعل الماضي "نجوتَ"، وذلك في موطن الطمأنة الرئيس في قوله عز وجل: ".. فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ "[القصص :٢٥]؛ حتى يفيد شدة التحقق وتأكد حصوله. هذا على سبيل المثال.

بينما عند التعبير عن الطمأنة بالنهي عن الوجل؛ لأن المقام قد استدعى حضورها مشاكلة لتعبير إبراهيم عليه السلام في قوله قبل هذه الآية: "وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ٥٢ "[الحجر:٥١- ٥٢]، فجاءت الطمأنة عقب هذه الآية بقوله على لسان ضيف إبراهيم عليه السلام " لَا تَوۡجَلۡ " وقد لاءمت السياق العام للآيات من القلق، فالنبي إبراهيم عليه السلام صاحب عقيدة الحجة والإقناع يقع تحت وطأة القلق تجاه الأضياف من عدم إقبالهم على تناول الطعام على سبيل العادة التي يلقاها عند الاستضافة، لا سيما أنه في عُرف العرب أنَّ من لا يُعرف إذا حضر وقُدِّم له الطعام ولم يأكل، كان ذلك مدعاة لحصول القلق؛ إذ ليس هناك سابق عداوة ولا شيء يجعل إبراهيم عليه السلام في حالة تأهب من وقوع مكروه. ومن هنا كان للسياق أثر بيِّنٌ في تطويع الدلالات التي هي صاحبة الأثر الأكثر صلة بمعناه.

المبحث الأول

أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف المتعلق بأحوال الأسرة

لمَّا كانت الأسرة بمثابة البَذرة الأساس والكيان الأصيل للمجتمع، كان لا بد لها من أحوالٍ عدة وفروعٍ متنوعة بتنوع أفرادِها، الأمر الذي يجعلها تظهر في مظاهر عِدة كما أَوْضحتها سياقات الآيات الواردة في القرآن الكريم، وهذا على النَّحو الآتي:

أ – طمأنة النفس في مقام الخوف من وقوع الخلافات الزوجية:

الخلافات الزوجية تتركز في أصل العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة على أساسٍ من المودة والرحمة. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم:٢١]، فهي حياة قوامها الطمأنينة والأمان، حتى إذا ما اختل هذا النظام وُجِدَت الحلول الملائمة من قِبَل الله عزَّ وجل؛ عودًا بالنفس إلى طمأنتها، و"لحماية الأسرة من التفكك والانهيار"(١)، وذلك بنصوص ترعاها وتحفظ لها استقامتها(٢)، نلمسها في المواضع الآتية:

١- قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ

---

(١) مقال بعنوان "الطريق الأمثل للتعامل مع الخلافات الزوجية"، إسلام لطفي، ت/ ١٣ أبريل ٢٠١٩م، صفحة إلكترونية بعنوان" التنوير رسالة الإسلام رحمة وعدل وسلام".

(٢) ينظر: العلاقات الأسرية في شِعر العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. أمل نُصير، ص٥، ط الأولى، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ٢٠٠٥م.

فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[النساء: ٣٤].

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء: ٣٥].

٣ - قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

يكمن موطن طمأنة النَّفس في هذه المواضع، حيث قوله في الآية الأولى:"... فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ "، وقوله في الآية الثانية: "... فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ..." وقوله في الثالثة: "... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ".

اشتركت المواطن الثلاثة في العمل على التوجه إلى طمأنة النَّفس في السياق الدقيق وذلك عقب ذِكر موطن الخوف ودلالته، إلا أنَّها تفاوتت في طريق إثبات ذلك، حيث اتجاه الموضعين الأولين إلى اتخاذ أسلوب الأمر أسلوبًا رئيسًا في سبيل طمأنة النَّفس، بينما خالف الثالث، حيث مجيء أسلوب النفي أسلوبًا رئيسًا في العَمد إلى طمأنة النَّفس على النحو الذي جاء في قوله تعالى:"..فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ..".

ومجيء الموضعين الأولين قائمين على أسلوب الأمر لأن المقام مقام إصلاح وتقويم اعوجاج في حياة ما زالت قائمة، فالزوجان هنا ما زالا على قيد زواجهما، الأمر الذي لاءم في هذين الموضعين إيثار التعبير بأسلوب الأمر الذي يعمل على إيقاظ النَّفس وتنبهها حتى إذا ما فزعت إلى الامتثال والإذعان له تحقق الغرض الرئيس في ذلك من الحرص على الخلوص بالحياة الزوجية إلى جو الطمأنينة التي تترقَّب إليها النَّفس في بيئة تعج بالعديد من المسؤوليات التي هي سبب رئيس من أسباب تولد المشكلات الزوجية، ولذا تجده خالف في الموضع الثالث، فقد عمد في طريق طمأنة النفس إلى طريق النفي، حيث قوله:"فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ.."، فالمقام هنا مقام بيان لحكم "من أحكام الطلاق وهو بيان الخلع"[1] في حالة إذا ما مُنِع الرجل أن يأخذ من امرأته عند الطلاق شيئًا إلا "في حالة الخوف والغضب"[2] فكأنه –أي الطلاق والتسريح بالإحسان– مأخوذ بالعموم في عدم جواز أخذ الرجل من المرأة شيئا عند طلاقها، فلاءم مجيء الأسلوب بطريق النفي في مقام طمأنة النفس؛ ليساعد على الخلاص بها من أذى هذه الحالة وما تكون عليه جراءَها، لا سيما توهم عموم حكم عدم جواز أخذ الرجل من المرأة شيئا عند طلاقها، فتتلخص تلك القضية بطريق النفي وتنتهي بانتهاء الحياة الزوجية.

وشبيه ذلك –في اتخاذ أسلوب النفي وسيلة طمأنة النفس في مقام الخوف– ما نجده في موضع آخر أشار فيه عزَّ وجل إلى حالةٍ مقابلة للحالة الواردة في الموضع الأول من شواهد هذا المعنى، حيث مجافاة الرجل نفسه للمرأة في قوله تعالى:﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا

(١) مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي(٥٣٨هـ)، ٦/٤٤٤، ط الثالثة، دار الكتاب العربي– بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢) السابق، ٦/ ٤٤٥.

صُلۡحًا وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾ [النساء-١٢٨]، فإيثار التعبير بأسلوب النفي دون الأمر؛ لأن في النفي رائحة جواز وقوع الفرقة بينهما، وأنهما قد يصلا إلى حالة من النفور الذي قد يترتب عليه عدم رجوع كل منهما للآخر، وهذا على عكس ما نجده في الآية الأولى حيث قوله:" ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ... وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ..."؛ حيث استشعار إمكانية البقاء واستمرار الوداد، ولذا نجده عزَّ وجل في الموضع الأول يغاير الحكم في حالة إذا ما أبدت المرأة طاعة لزوجِها وكفَّت عن نشوزِها[1] بقوله: " فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ .."، ففي هذا الأسلوب إيحاء بتوقع إصلاح ومعاودة صفو الحياة الزوجية، ولذا نستشعر حدَّة التعبير بأسلوب النهي في قوله: " فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ.."، ثم التعبير بلفظ البغي وهو أصل مجاوزة الحد[2]، دون التعبير مثلًا في غير القرآن -فلا تظلموهن أو لا تُحَمِّلونهنَّ فوق قدراتهن..- ونحو ذلك مما يدع الأزواج إلى الجدِّية في قبولهن، بل عليه ضرورة الاستحضار في ذهنه أنَّ مجاوزة الحد وعدم مراقبة الله -عزَّ وجل- في تطبيق أحكامه موجبٌ لعقابه، لا سيما وقد ذيلت الآية بصفتين جاءتا "في غاية الحسن وبيانه؛ حيث إفضائها إلى نوع تهديد الأزواج على ظلم النساء.. لأنه أعلى منهم وأكبر من كل شيء وهو متعال عن أن يكلف إلا بالحق"[3]، وهذا ما خلا منه الموضع الثاني:" وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ..."،

---

(١) نشز: النون والشين والزاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو. والنشوز يكون بين الزوجين وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه. مقاييس اللغة، ٥/٤٣٠. لسان العرب، ٥/ ٤١٧ (نشز).

(٢) ينظر: لسان العرب، ١٤/٧٥.

(٣) مفاتيح الغيب، ١٠/٧٣.

فالآية يكتنفها عدم الطمأنينة إلى وجود خلافٍ متحقق بين الزوجين، وإنما هو توقع لحدوث ذلك فجاء التقويم الربَّاني بأسلوب الأمر؛ ليدل على ضرورة الحفاظ على وفاق الزوجين، وأنَّ العيش في كنف المودة هو الأصل الذي تبنى عليه الحياة الزوجية، فبنيت الآية على الشك في وجود هذا الخلاف؛ حيث إنه لو علم الشقاق على الحقيقة لم نحتج إلى حَكَمَيْن[1]، وهذا ما يقويه التعبير بالماضي "خِفْتُمْ" في جانب مخاطبة الحكام؛ لأن خوفهم خوف متعلق بقضية لها أمد ذو نهاية فهو غير دائم، هذه القضية شأنها شأن غيرها من القضايا والمهام التي يأخذون بالنظر فيها لمدة معينة ينتهون منها ليواجهوا غيرها، بينما لاءم مجيء دلالة الخوف بالمضارعة في الموضع الأول حيث قوله: ".. تَخَافُونَ.."؛ ليدلنا على أنَّ ذلك هو حال الأزواج جراء دأب النساء- من زوجاتهم- الناشزات، حيث يجعل أزواجهم في حالة قلق دائم، كما أنهن يعرضن أزواجهن إلى مثل هذا الصنيع دائمًا وأبدًا، ولذا عبَّر في جانب طاعتهن لأزواجهن بـ "إنْ" الشرطية في قوله: " فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ.. "؛ لإفادة أنهن لا يخضعن ولا يزللن بسهولة، الأمر الذي لاءم معه تعديد طرق عقابهن بقوله: "فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ"، ومن هنا لاءم معه الإشعار بحدة الأسلوب حتى يتلاءم ذلك والحرص على قوام الحياة الزوجية دون تفكُّكِها.

ب – طمأنة النفس في مقام الخوف من عدم العدل في الحقوق، وقد جاء ذلك في موضعين:

١ – قال تعالى:﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٢].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٠/ ٧٣.

٢ – قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء: ٣]. [النساء: ٣].

بالنظر في هذين الموضعين نلحظ موطني الطمأنة في قوله عز وجل في الآية الأولى: ".. فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾"، وقوله في الآية الثانية: ".. فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟". هذان الموضعان مع اشتراكهما في استحضار طمأنة النفس إلا أنهما يختلفان في طريق الطمأنة اختلافًا متعلقًا بالمقام الذي استدعي ذاك الطريق وهذا الأسلوب المتبع في كل، فالآية الأولى تَعرِض إلى طريق النفي في سبيل طمأنة النفس حيث قوله: ".. فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ.."؛ لأن الله –عز وجل– يريد أن يعلمنا بعموم توعُّده لمن يبدل الوصية، حيث إنَّ هذه الآية موطن الدراسة جاءت في سياق الحديث عن الوصية عند الموت، قال تعالى قبل هذه الآية: "﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٠– ١٨١]، فبالتأمل في هذه الآية نجدها موحية بعموم توعد الله –عز وجل– لمن يأخذ في مطلق تبديل وصية الموصي عند موته، فجعل هذا الإيحاء يُدِبُّ القلق والخوف في نفس السامع لا سيما أنَّه قد يحدث هناك بعض التجاوزات في هذه الوصية، كأن يوصي الموصي "للأباعد دون الأقارب أو أن يزيد فلانًا مع أنه لا يكون مستحقًا للزيادة أو ينقص فلانًا مع أنه مستحق للزيادة، فعند

ذلك يصير السامع خائفًا من حنثٍ لا قاطعًا عليه"[١] الأمر الذي جعل الله -عز وجل- يعمد إلى طمأنة نفس السامع بأن هذا الإثم ليس في كل الأحوال، وهو ما أكده التقييد للخوف بقوله: "جنفًا أو إثما"، حتى يشعرنا بالفسحة والحالة التي لا يقع فيها إثم على المُصْلِح، فلاءم التعبير بالنفي، بينما نجده في الموضع الثاني من موضعي الدراسة، يعمد إلى طمأنة النفس بطريق الأمر حيث قوله: ".. فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ .."، وذلك لأن القضية هنا تتعلق بحق اليتامى، وما يترتب على أكل أموالهم من الحوب الكبير والجرم العظيم إذا لم يراع الله فيه حق رعايته، وهذا ما أكده قول الله عز وجل في بيان مصير آكلي مال اليتيم بغير حق:" إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾"[النساء: ١٠]، فلما كان الأمر كذلك كان الذَّهاب إلى طمأنة النفس بطريق الأمر هو الملائم لذلك؛ حتى يتمكن في النفس مدى المفارقة التي تكون عليها هذه النفس عند مقارنة الحالتين، حالة الرغبة في أموال اليتامى لا سيما الإناث منهم، ثم الطمع في نكاحها لأجل مالها إلا "أنه يريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يَذُبُّ عنها ويدفع شر ذلك الزوج"[٢]، فيكون ذلك من الحوب الكبير لترك "الإقساط في حقوق اليتامى"[٣]، حتى يتمكن في النفس مدى المفارقة بين هذه الحالة- من الإقساط في حقوق اليتامى- وحالة النزوع إلى الخلاص من ذلك بالذَّهاب إلى الخيار الآخر وهو الزواج بغيرهن من النساء إذا ما تحرجوا من ولايتهم وعدم العدل فيهم، هذا بالإضافة إلى ما نلمسه من أن في العمد إلى طريق الأمر إشعار بعظيم الاهتمام بأمر هؤلاء الأيتام وأنهم ليسوا كغيرهم في المعاملة، بل الحذر طريق الوصول إليهم، فالآية هنا

---

(١) مفاتيح الغيب، ٥/ ٢٣٧.

(٢) مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٨٥.

(٣) السابق نفسه.

عمادها التأكيد على شدة الحذر في التعامل مع الأيتام وهو ما جسده التعبير بأسلوب الأمر الذي يوحي بالشدة وضرورة الالتفات إلى المأمور به كي لا يقع السامع في المحظور، بينما خلت الآية الأولى من مثل هذا المعنى حيث مطلق اهتمامها إلى مطلق تصحيح فهمٍ تُوُقِّع خلافه، وبيان عدم تعميم حكم معين، ولذا لاءم معه التعبير بالنفي الموحي بخفة الحدث ورشاقته وسهولة الوصول إلى غايته، الأمر الذي جعل الآية الأولى لا تستطرد إلى ما استطردت إليه الآية الثانية؛ فالآية الأولى نجدها تقف عند نفي الإثم عن المصلح الذي يتولى تعديل وتبديل ما يمكن أن يخطيء فيه الموصي في وصيته، وكأن النفس في هذا الموطن تريد إرواء غليلها والاطمئنان كل الطمأنينة عند العلم بالحكم، بل سرعان ما يحدث لها الاطمئنان عند هذا الحد من الأخذ في طمأنتها، بينما الآية الثانية نجدها تستطرد في عرض الحلول التي يزول جراءها الخوف، فعقب ذِكر الخوف من عدم القسط في اليتامى لا سيما الإناث منهم، أمرهم الله عز وجل بالذهاب إلى استبدال ذلك بنكاح غيرهن من النساء، وهذا ليس على سبيل القمع لهم والتضييق عليهم(١)، بل هي عدالة الله عز وجل ورحمته التي تحقق لكل من الطرفين أمانه وطمأنينته، اليتامى يحفظ لهم مكانتهم وكرامتهم، والمخاطبون يحقق لهم غايتهم بطريق وكيفية آمنة لهم، ولذا نجد الله عز وجل يأذن لهم بالفسحة في الزواج من غيرهم حيث الزواج بمثنى وثلاث ورباع، أيضًا عقب ذكر الخوف من عدم العدل في جانب النساء التي أحل الله تعديدها بالذهاب إلى اتخاذ واحدة أو ما ملكت

(١) قد يذهب الذهن إلى التساؤل عن أمر هؤلاء اليتامى، لماذا شرع الله في مقابلهم الذهاب إلى الزواج من غيرهم من النساء، فيكون الرد كما ورد عند الإمام فخر الدين الرازي في مفاتيحه، حيث قوله: "روي عن عروة أنه قال: قلت لعائشة ما معنى قول الله: "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى"، فقالت: يا ابن أختى، هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها إلا أنه يريد أن ينكحها بأدنى من صداقها، ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها مَن يذبُّ عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى: "وإن خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء". مفاتيح الغيب، ٩/ ٤٨٥.

الأيمان، وذلك على سبيل الترقي في الحلول المطمئنة ليحقق للنفس الغاية التي تركن إليها وبها تلقى أمانها وطمأنينتها، وهو ما أكده ختم الآية بالتعليل بقوله: "ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ"، مما يدع القاريء إلى مزيد تأمل وطول تفكر قبل أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، وهذا على خلاف ما نلحظه في الآية الأولى التي اكتفت كما بينا سابقًا بمطلق نفي الإثم عن المصلح للخطأ، ثم الذهاب إلى التأكيد على رحمة الله عز وجل بـ "إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ "، إعلامًا بالطمأنة ووقوفًا بالنفس عند حدودها.

ج – أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف على الصغار من الأولاد:

مطلق الخوف على الصغار من الأولاد يدلنا على ضعفهم وقلة وعيهم وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، الأمر الذي يجعل الخوف عليهم أمرًا بديهيًا واقعًا لا محالة، وكأنه موروث النفس حيالهم طيلة صغر سنهم، لا سيما إذا كان هناك ما يُخْشى بطشه بهم، على النَّحو الذي نلحظه في موضعين من مواضع آي القرآن الكريم اللذين جاءا في قول الله عزَّ وجل:

١ –﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾[يوسف:١٣، ١٤].

٢ –﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾[القصص:٧]. هذا مما يجعل النفس مستعرة عليهم خوفًا وقلقًا، فتأتي الطمأنة وهي ممثلة نوع عناية وطريق وقاية إثر هذا الخوف، ففي هذين الموضعين نلحظ وجود الخوف حيال طفلين صغيرين، أولهما: يوسف عليه السلام، والآخر: موسى عليه السلام. ومع اتفاق هذين الموضعين في مُتَعلَّق الخوف–أي كونه حيال طفلين صغيرين–، إلا أنهما اختلفا

اختلافًا بيِّنًا من حيث مبعث هذه الطمأنة وأصل موردها، فنجدها في الآية الأولى قد كانت من قبيل إخوة يوسف عليه السلام لأبيه عندما أخبرهم أبوهم بخوفه عليه –أي على يوسف عليه السلام– من أن يأكله الذئب، حيث قول الله عزَّ وجل على لسانهم:" قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ "، بينما نجدها– الطمأنة– في الآية الثانية من قبيل الله عز وجل، حيث قوله:" فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ".

ولما كان هناك بونًا شاسعًا بين مصدري الطمأنة، أتى تباعًا بونٌ شاسعٌ بين الأسلوبين المتبعين فيهما، فالموضع الأول جاء فيه الأسلوب الرئيس للطمأنة هو أسلوب الشَّرط وجزاؤه، بينما الموضع الثاني جاء فيه الأسلوب الرئيس بأسلوب النَّهي، حيث قوله تعالى لأم موسى– عليه السلام–:" وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ". وبالتأمل في بون هذين الأسلوبين نستشعر أنَّ الطمأنة في الموضع الأول يشوبها نوع خفة وضعف في التأثر بها، بينما يُرى شدة وقعها وقوة أثرها في النَّفس في الموضع الثاني، ولِمَ لا ومصدر قوتها هو الله عزَّ وجل، وذلك –أي استشعار خفة أثر الطمأنة في الموضع الأول– نجده نابعًا من أمور عدة تتمثل في طبيعة النَّفس ذاتها التي أرادت طمأنة النفس الخائفة، فهم إخوة يوسف عليه السلام الذين ملأ الحقد نفوسهم ونال الغيظ من قلوبهم جراء محاباة أبيهم –يعقوب عليه السلام– لأخيهم يوسف عليه السلام وشدة حبه له وفرط خوفه عليه حتى حزنه إذا ما فارقه؛ "لأنه كان لا يصبر عنه ساعة"(١)، هذا ثم عمدهم إلى الأسلوب الأكثر وفاقًا بطبيعة حقدهم ألا وهو أسلوب الشرط "إن" المستلزم للجزاء المؤكَّد بوصفهم بالخسارة، مما يدل على تحقق خسارتهم؛ إذ قطعوا على أنفسهم بهذا الوصف أنه إذا ما أكل يوسفَ الذئبُ على

(١) مفاتيح الغيب، ١٨/٤٢٦.

نحو التعليل الذي أخذوه من منطق أبيهم "وكأنه لقنهم الحجة"[١] سيكونون خاسرون، هذا بالإضافة إلى عقدهم النية على إلحاق الأذى به سواء أكان بالذئب أم بغيره، لا سيما وقد أذن لهم أبيهم بذهابه معهم بعد طمأنتهم له بـ "أنهم عشرة رجال بمثلهم تُعصب الأمور وتُكفى الخطوب"[٢] إلا أنها كانت طمأنة كاذبة مؤكد ظاهرها[٣] باطل باطنها وهو ما أكده قوله تعالى: بعد هذه الآية: " فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ" [يوسف: ١٥]؛ إذ التقدير: "فأذن له وأرسله معهم فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب.. فجعلوه فيها"[٤]، هذا ومن دلائل خفة أثر الطمأنة، أنَّ يعقوب نفسه ذكر لهم أن مطلق "ذهابهم به غدًا يُحدِث به حزنًا مستقبلًا ليصرفهم عن الإلحاح في طلب الخروج به"[٥] مما يدل على عدم ارتياحه لمطلبهم، أليس هو القائل ليوسف عليه السلام جراء الرؤية التي قَصَّها عليه كما جاء في القرآن الكريم:" قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥" [يوسف:٥]. أيضًا ذهابه إلى "تأكيد الجملة بحرف التأكيد لقطع إلحاحهم بتحقيق أنَّ حزنه ثابت، تنزيلًا لهم منزلة من ينكر ذلك، إذ رأى إلحاحهم"[٦]، هذا بالإضافة إلى عدم تورعهم عن وصف أنفسهم بالخسارة وهم لأسبابها قائمون، فأكل الذئب ليوسف على

---

(١) السابق نفسه.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٨/٤٢٧.

(٣) حيث اللام في "لئن أكله الذئب" موطئة للقسم، أرادوا تأكيد الجواب باللام، وإن ولام الابتداء، وإذن الجوابية تحقيقًا لحصول خسرانهم على تقدير حصول الشرط، والمراد الكناية عن عدم تفريطهم فيه وعن حفظهم إياه لأن المرء لا يرضى أن يوصف بالخسران.. وفي هذا عبرة من مقدار إظهار الصلاح مع استنبطان الضر والإهلاك". التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٢٩٢هـ)، ١٢/ ٢٣٢، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤م.

(٤) مفاتيح الغيب، ١٨، ٤٢٦.

(٥) التحرير والتنوير، ١٢/ ٢٣٢.

(٦) السابق نفسه.

سبيل الحقيقة –كما أخبروا– لا يَقِلُّ عن عزمهم على الإلقاء بيوسف في غيابت الجب؛ لأنهم ينوون حقيقةً الغدرَ به، الأمر الذي لاءم لجوءهم إلى وصف أنفسهم بالخسارة؛ فهم في الحقيقة لم يستطيعوا أن ينجوه من شر أنفسهم، فكيف بالنجاة من شر غيرِها؟!. وهذا على خلاف ما نلمسه في الموضع الثاني، فالله عزَّ وجل هو مَن تَكفَّل برعاية موسى عليه السلام، "فجاء يقين أم موسى في أن أوامر الله لا تتخلف، حتى تسارع في تنفيذ ما أمرها الله به. والحق سبحانه يريد أن يربب الإيمان، أي يزيده في قلوب عباده، فهب أن الله قضى بقضية أو أمر بأمرٍ، ثم لم يأت الكون على وفق ما أمر الله، فماذا يكون موقف الناس؟! فما دام رب العزة قد قال فلا بد أن يحدث ما أمر به[1]، وهذا ما أيقنته أُمِّ موسى عليه السلام. أيضًا ما يفيض به الموضع الثاني من كرم الطمأنة ومزيد التربيت على قلب أم موسى؛ حيث لم يكتف بنهيِها عن الخوف حتى ثنَّاه بالنهي عن الحزن "لما بينهما من الفرق في المعنى"[2] فالحزن فيه معنى التكاثف للغم نتيجة استكنانه في القلب[3]، فهو مرحلة ثانية مترتبة على الخوف الذي هو خلاف الطمأنينة[4] فتثنى الإتيان بالتأكيد في قوله تعالى: "إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ" على سبيل الاستئناف البياني؛ حتى يزيد في تفاعل أم موسى عليه السلام تلاؤمًا مع فيض كرم الله تعالى بطمأنة قلبها وجبر خاطرها وكأنها تساءلت كيف بعدم خوفِها وحزنها الذي هو من الطبعيّ جرَّاء قيامها بإلقاء صغيرها في اليم الذي هو مظنة الهلاك عند عامة البشرَ؟!، فلما جاء تعليل ذلك بالجواب "إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ

(١) ينظر: علاج مشكلة الخوف في القرآن الكريم من خلال قصة موسى وهو في البحر، د. منير أحمد مقبل قاسم العواضي– د. محمد شافعي حمزة– د. محمد فتحي محمد عبد الجليل، ص١١١، بحث في مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا، المجلد (٦)، العدد (٢)، ١٤٤١هـ– ٢٠٢٠م.

(٢) الفروق اللغوية، ص٢٦٧.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية، ص١٨٥.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية، ص٢٢٧.

وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ" ازداد يقينها واشتدت طمأنتها، ومن ثم أسرعت في تنفيذ أمر ربها؛ لأن أمره لا يتخلف أبدًا، وهذا على عكس ما لقيه يعقوب عليه السلام من وعد أبنائه له بحفظ أخيهم –يوسف عليه السلام–، فشتان ما بين المطمئِن هنا –الله عز وجل– والمطمئن هناك –إخوة يوسف– عليه السلام.

د– طمأنة النفس في مقام الخوف من ضيق رزق الأولاد:

تنوع نفقات الأولاد، وكثرة متطلباتهم، وتعدد وجوه النفقات المتعلقة بهم قد يعمل على توقع العجز عن القيام بأمورهم على الوجه الذي يرغبه الراعي تجاه رعيته وذلك لمظنة حلول الفقر بهم، غفلة منه عن أن الله عز وجل هو المتكفِّل الوحيد برزقهم كما هو الرزَّاق الوحيد لغيرهم من سائر دواب الأرض؛ أليس هو القائل عز وجل:﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود:٦]، كما أنه عز وجل إذا كان هو الرزَّاق للدواب التي لا تحمل هم رزقها فكيف بمن أمره بالسَّعي في مناكبها أَخْذًا بالأسباب التي هي من عوامل الكسب وإدرار الرزق على النحو الذي فرق به بين بني البشر وغيرهم من سائر الدواب. قال تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[العنكبوت:]؛ ليدلنا على أن هذا الأمر –وهو تكفُّل الله عز وجل بالأرزاق– من الأمور المُسلَّم بها التي لا ينبغي لأحدٍ أن يغفل عنها، فجاءت طمأنة النفس في مقام الخوف من ضيق الرزق وبخاصة الخوف من ضيق رزق الأولاد؛ لتردنا إلى طبيعة من الطبائع الرئيسة في تحقيق استقامة حياة المرء، وقد جاء الخوف من ضيق رزق الأولاد في موضع واحد فقط على النحو الآتي:

*قال تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

ولأنَّ الله عزَّ وجل يريد أن يردَّنا إلى هذه الطبيعة الرئيسة في تحقيق استقامة حياة المرء نجد ملاءمة ذلك والأسلوب الرئيس للطمأنة في هذا الموضع، حيث سوق

الأسلوب الخبري الخالي من مؤكداته: "نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ"، فهذه القضية –من التكفل بالرزق – من الأمور المُسَلَّم بها عند الله عزَّ وجل وإن كان الإنكار قائمًا في نفس المخاطب(١) لا سيما وقد دل عليه هنا ذهابهم إلى قتل أولادهم وحرمانهم من حق الحياة خوف الفقر وتوقع حدوثه، إلا أن الله عز وجل لم يعبأ به، وكأنه يلوم المخاطبين في ذلك عن أنه كيف غاب عن أذهانكم أن الله خالق شيء وتاركه؟!، بالإضافة إلى تنبيههم أنَّ هذا الأمر – الرزق– من الأمور التي لا ينبغي لأحدٍ أن يتدخل في أمر حدوثها، وهذا أدعى إلى حدوث الطمأنة وحسن التسليم لله عزَّ وجل، فإذا ما سيق الأسلوب مؤكدًا فربما لا يلحظ للمعنى جلاله على النحو الذي أثبته الله عزَّ وجل في كتابه، فلو جاء التعبير في غير القرآن على نحو "إنا نحن نرزقهم.."، أو " إنا لرازقوهم.." أو ما شابه، لاستشعرنا نوع تكلف ومزيد تعصب على حدوث أمر هو من الهين عليه عز وجل، ولا شك هذا المعنى لا نلحظه في التعبير القرآني.

---

(١) وهو ما أكده الموضع الذي ورد في سورة الأنعام حيث قول الله تعالى:"وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١"[الأنعام: ١٥١]؛ ليدلنا على تمكن الفكرة –فكرة قتل أولادهم– من عقولهم، ولذا استوجبوا النهي في الموضعين – موضع الدراسة الرئيس في البحث وذاك الموضع السابق– عن الوأد إذ كانوا يدفنون البنات أحياء، بعضهم للغيرة وبعضهم خوف الفقر وهو السبب الغالب، فبين تعالى فساد هذه العلة بقوله: نحن نرزقكم وإياهم لا سيما وقد عمد إلى تقديم رزقهم على رزق أولادهم، إذ بالإضافة إلى مراعاة الآية الإشارة إلى أن هذه الآية تخبر عن حصول الفقر لهم فعلًا ووقوعه فيهم –الآباء– إلا إنها أرادت أيضًا الإشارة إلى أنهم هم الأصل في حلول الرزق بهم، فالوالد هو القيم الرئيس على أمور أولاده والأكثر حرصًا على توفير احتياجاتهم وتلبية مطالبهم مسؤولًا عن ذلك أمام الله عز وجل، فكان هو الأَولى بوعد من الله بالإعانة على القيام بأمور أولاده، فكيف لهم التفكير والاعتقاد بتسبب أولادهم في حدوث فقرهم وهم فرع عن الأصل –الآباء– أليس الله بكافٍ عبده؟!. ينظر: مفاتيح الغيب،١٣/ ١٧٨.

وقدم رزق الأولاد على رزق الآباء مع أنه كان من الممكن أن يَرِد التعبير على نحو "نحن نرزقكم" بالجمع دون التفصيل بذكر الأبناء والآباء كل على حدة؛ لأن الأبناء هنا هم أساس مشكلة الرزق في نظر الآباء، وهم مكمن إثارتها، والقلق بشأنها، "فقدَّم رزق الأولاد لأنهم سبب توقع الفقر في زعم آبائهم لكي يمتنع الآباء عن هذا التوقع ولكي يضمن للأولاد رزقهم ابتداءً مستقلًا عن رزق الآباء"(١)، ولذا نجد الآية الكريمة بدأت باديء ذي بدء بالنهي عن قتل الأولاد، ثم التذييل بـ "إنَّ قتلَهم كان خطأً كبيرا" للتأكيد على عملية النهي دون الوقوف عند أسلوب الطمأنة "نحن نرزقهم وإياكم"، وللتأكيد على فداحة سوء تفكيرهم وسقم منهج حياتهم؛ " إذ كانوا يزعمون أنَّ وأد البنات(٢) من السداد، ويقولون: دفن البنات من المَكْرُمات"(٣)، ومن ثم ما يذهبون إلى فِعله –من قتل أبنائهم– أشد خطرًا من عملية التفكير في أرزاقهم، ولذا كان التأكيد بـ " إنَّ" المؤكدة، ثم التعبير بالمصدر في قوله: "قتلهم" للدلالة على شناعة فعلهم وهو ما أكده الوصف بالخِطْأ، وتقييده بكونه "كبيرا"، فالخِطأ –بكسر الخاء وسكون الطاء– إذا أصاب إثمًا، ولا يكون الإثم إلا عن عمد، أما الخطأ –بفتح الخاء والطاء– أي أن قتلهم محض خطأ ليس فيه ما يُعذر عليه فاعله(٤)، الأمر الذي طابق معه التعبير بالفعل "كان"؛ للإشعار "بأن كونه إثمًا أمرًا استقر"(٥)، فيكون ذلك أدعى إلى ضرورة ركون النفس إلى خالقها عزَّ وجل واسترجاع الثقة به؛ فلا حول ولا قوة لنا إلا به سبحانه.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لـ/ د. محمد سيد طنطاوي، ٨/ ٣٣٨، ط، الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة– القاهرة، ١٩٩٨م .

(٢) المراد بالأولاد في الآية الكريمة "خصوص البنات لأنهن اللاتي كانوا يقتلونهن وأْدًا، ولكن عبَّر عنهن بلفظ الأولاد في هذه الآية ونظائرها لأن البنت يقال لها: ولد، وجرى الضمير على اعتبار اللفظ في قوله نرزقهم" التحرير والتنوير، ١٥/ ٨٧ .

(٣) التحرير والتنوير، ١٥/ ٨٨ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ١٥/ ٨٩ .

(٥) السابق نفسه .

المبحث الثاني

أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف الوارد في القصص القرآني

إذا ما ذُكر لفظ القصص نجده يحمل في طياته أشخاصًا وأحداثًا كانت قد أوجدت الأثر البالغ الذي عمل على تكوين ما يسمى بالقصة، ولذا قالوا:" القصة الأمر والحديث وقد اقتصَّ الحديث رواه على وجهه"[١] لتتبعه أثره؛ فالقصص:" الأخبار المُتَتبَّعة"[٢]، وما دامت هذه الأخبار متتبعة فلا بد لها من توارد أحداث مع اختلافها مما يوحي بكثرتها، الأمر الذي يوحي بجدارة تسميتها بالقصص فهو أيضًا: " ما كان طويلًا من الأحاديث متحدثًا به عن سلف ومنه قوله تعالى﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾[هود: ١٢٠]" [٣]، ومن ثم نجد القَصَصَ القرآني إخبارًا عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة في الماضي وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم في صورة ناطقة لما كانوا عليه[٤] "من صراعٍ بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام"[٥] كان لها-أي آثار الحوادث- من الأثر السلبي على النفس المناهضة لها. وهي تمثل في هذه الدراسة التعرض لمقامات الخوف الواردة في القصص القرآني، وكيف كان دور القرآن في مجابهة هذا الخوف

---

(١) مختار الصحاح، لـ/ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ)، ١/٢٥٤، ت/ يوسف الشيخ محمد، ط الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص٦٧٢.

(٣) الفروق اللغوية، ص٤١.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لـ/ مناع القطان، ص٣١٦، ٣١٧، مكتبة وهبة، عابدين- القاهرة.

(٥) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، لـ/ عبد الكريم الخطيب، ص٤٠، ط الثانية، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

ومقابلته بالطمأنة حتى تستطيع النفس تعديل مسارها، ومعاينة موقفها تجاه الحدث.

هذا، وقد تعددت في هذا المبحث مظاهر هذه الطمأنة طبقًا لتعدد مقامات الخوف الواردة في القصص القرآني حتى نجدها تأخذ ستة مظاهر:

أ – طمأنة النفس في مقام الخوف ممن لم تعرفهم.

عندما تصطدم النفس بما لا تألفه من أُناسٍ وتصرفات غير معتادة منهم، نجدها تقابل ذلك بما يعبِّر عن أثره فيها، حيث القلق والخوف الذي "يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من مبدأ سار إلى غير سار"[1] على النحو الذي لمسته الدراسة في هذا المقام الذي قد جاء في ثلاثة مواضع:

١ – قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ ﴾ [الحجر: ٥١– ٥٥].

٢ –قال تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠ ﴾ [الذاريات: ٣٠].

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لـ/ أبي الحسن حازم القرطاجني (٦٣٤هـ)، ص١١، ت/ محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨م.

٣ –قال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ ﴾ [هود: ٧٠].

وبالنظر في هذه المواضع نجدها اتفقت في الكشف عن حالٍ واحدٍ ألا وهو خوف النفس –نفس إبراهيم عليه السلام – جراء رؤية من لم تعرفهم، وكما اتفقت في الكشف عن وقوع هذا الخوف نجدها قد اتفقت في إحداث الطمأنة لها، ففي الموضع الأول نجد الطمأنة في قول الله عزَّ وجل: " لَا تَوۡجَلۡ "، وفي الموضع الثاني والثالث قوله: " لَا تَخَفۡ ".

ومن الملاحظ في هذه المواضع الثلاثة اتخاذ أسلوب النهي أسلوبًا رئيسًا في إحداث الطمأنة، وذلك تلاؤمًا مع ما كانت تُكِنُّه الملائكة لإبراهيم عليه السلام من البشرى بحصول الولد الذي كانوا يطلبونه من أول العمر إلى هذا الوقت(١)، وكأنهم من فرط بشاشتهم وإيمانهم بفرح إبراهيم عليه السلام بالبشرى يخبرونه بأن الأمر لا يستحق الخوف الذي أنت عليه، فلاءم أن تأتي الطمأنة بهذا الأسلوب الذي يوحي بسهولة الأمر وعدم ملاءمته مثل هذا الخوف الذي قابلهم به إبراهيم عليه السلام وهو ما لاءم التعبير بأسلوب النهي في المواضع الثلاثة بصيغة واحدة وهي لا الناهية، بينما خالف الموضع الأول الإبانة عن أثر الخوف بـ "الوجل" دون الخوف الذي عُبِّر عنه بصيغته المباشرة في الموضعين الثاني والثالث؛ وذلك لأنهم شاكلوا به –أي بالوجل– قول إبراهيم لهم "إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ" أي هو وأهله(٢)، ولذا جاء الأمر على طبيعته في الموضعين الآخرين،

(١)"يقال إنها كانت في ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة وإبراهيم عليه السلام ابن مائة سنة". مفاتيح الغيب ١٨/ ٣٧٤.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لـ/ محمد سيد طنطاوي، ٨/٥٤، ط الأولى، دار نهضة مصر، القاهرة– الفجالة، ١٩٩٨م.

فهو لم يخبرهم بخوفه وإنما "ظهر أثرها على ملامحه"(١) فأجابوه بما "في نفسه بقولهم: "لَا تَخَفْ"(٢) وكأنهم أرادوا أن يقطعوا عنه كل معالم الخوف تهدئة لروعه، فكان مجيء الكلام على طبيعته.

وللتأكيد على طمأنة نفس إبراهيم عليه السلام نجد النهي مُعَقَّبًا بمطلق البشرى وإن كان قد اختلف طريق هذه البشرى، فبينما نجدها في الموضع الأول والثاني جاءت بمادة البشرى واضحة حيث قوله في الموضع الأول: " لَا تَوَجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ.. "، وفي الموضع الثاني قوله:" قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ .."، إلا أن هذه البشارة قد خالفت طريقها في الموضع الثالث لنجدها قد وردت بطريق الطي والاستنباط دون التصريح بها مباشرة كما هو في الموضعين السابقين، وهذا هو الأبلغ في الطمأنة حيث جاوزوا الطمأنة بالبشرى إلى الإخبار عن انصراف الأذى عنهم-عن إبراهيم ومن معه- وهذا هو مطلق الخير، خير البشرى كما دلت عليه الآيات في الموضع الأول والثاني، وخير انصراف الأذى عنهم بإرسالهم إلى قوم لوط كما هو في الموضع الثالث، حيث إن الملائكة عندما جاؤوا إبراهيم عليه السلام بالبشرى جاؤوه على صفة أضياف كرام "لم ير مثلهم"(٣) وذلك "ليكونوا على صفة يحبها"(٤) وهو كان مشغوفا بالضيافة إلا أنهم امتنعوا عن تناول طعامه امتناعًا أنذره بوقوع مكروه، إذ في عرف العرب أنَّ من لا يُعرَف إذا حضر وقُدِّم إليه طعام ولم يأكل حصل الخوف، وإن أكل حصل الأمن.

وهم في الحقيقة امتنعوا عن الطعام لأنهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا شك في أنَّ إبراهيم عليه السلام كان لا يعرف حقيقتهم، ولو عرف كونهم من

(١) التحرير والتنوير، ١٢/ ١١٨.
(٢) السابق نفسه.
(٣) مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٧٣.
(٤) السابق نفسه.

الملائكة لما استدل بترك الأكل على حصول الشر[١]، لا سيما وقد انصرف ذهنه إلى توقع حصول مكروه بعد معرفة حقيقتهم من أنهم كان نزولهم لأمرٍ أنكره الله عليه أو ليعذب قومه، فكانت الطمأنة بأصل مجيئهم لبشارته كما أفادته الباء في الآية السابقة على آية الموضع الثالث، حيث قوله تعالى:" وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ.." [هود:٦٩]، فهي هنا للمصاحبة[٢]، هذا بالإضافة إلى ما دل عليه الموضع الأول من تعقيب النهي عن الخوف بمطلق البشارة لا سيما وقد جاءت بمادتها المباشرة " لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ.."، وذلك على سبيل الاستئناف "لتعليل النهي عن الوجل"[٣]، بل تجاوز ذلك إلى مطلق نجاته بأنَّ الذي يستحق الخوف والذعر هم قوم لوط عليه السلام . "

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٧٣. وهذا أرجح الأقوال في ظن الباحثة قدر اجتهادها وإن كان هناك العديد من الآراء التي سيقت حول هذا المقام على النحو الذي ورد في كتب التفسير التي تناولت هذه الآيات من سورة هود يضيق المقام عن ذِكرِها. ومما يطابق اجتهاد الباحثة ما ذكره باحث آخر في رسالة بعنوان "الخوف في القصص القرآني" حيث حديثه عن: هل كان خوف إبراهيم عليه السلام في ذلك الموقف طبيعيًا أم لا؟، فأشار إلى كونه طبيعيًا لعدة أمور:

١ –ضيوفه أغراب لا يعرفهم.

٢ –لقد أمسكوا كلهم جميعًا عن طعامه.

٣ –لم يقدموا سببًا لامتناعهم عن الطعام، ولا اعتذارًا.

٤ –ما أخبروه عن حقيقتهم إلا بعد حدوث الخوف عنده عليه السلام. إذن كان خوف إبراهيم عليه السلام في ذلك الموقف على ذاته من شر الأغراب. ينظر: الخوف في القصص القرآني، للباحث/ عبد القادر محمد فتحي المطري، ص٦٠، رسالة ماجستير بجامعة القدس– فلسطين، ١٤٣٣هـ– ٢٠١١م.

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، لـ/ أبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، ص٤٠، ت/ د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٨/ ٥٥.

قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ" ومعناه: أرسلنا بالعذاب إلى قوم لوط"[1]، وهو ما أكده قوله تعالى في غير هذا الموضع حيث قوله في سورة الذاريات:" قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴿٣٣﴾"[الذاريات: ٣٢-٣٣].

ومما يقوي وجه قوة الموضع الثالث في قوة الطمأنة وشدة تعضيدها أننا نجد الآية التالية لهذا الموضع –أي الموضع الثالث– بها إخبار عن الحالة التي حصلت للسيدة سارة امرأة إبراهيم عليه السلام ، حيث ضحكها فرحًا منها بزوال الخوف عن زوجها إبراهيم عليه السلام ، بالإضافة إلى أنها كانت عظيمة الإنكار على قوم لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث، فلما أظهر الملائكة أنهم جاؤوا لإهلاكهم لحقها السرور فضحكت، فكانت البِشارة كأنها بِشارتان، بشارة بزوال الخوف وبِشارة بحصول الولد.[2]

هذا، ومع تعقيب النهي في الموضعين الأول والثاني بمادة البشارة المباشرة إلا أنهما اختلفا من حيث مجيئها في الموضع الأول بطريق التعليل للنهي عن الوجل، بينما جاءت في الثاني لتدلنا على الشروع في تنويع الطمأنة، فلم تكن قاصرة فقط على نفي الخوف عنه ونهيه عن الاتصاف به حتى زادوه بالبشارة، فالواو في قوله تعالى" وَبَشَّرُوهُ " للحال[3] وهذا مما يؤكد أن أصل مجيئهم لإبراهيم–عليه السلام– هو البشارة كما تبين سابقًا، بالإضافة إلى تقدم الحديث عن البشارة على الإخبار عن إنزال العذاب على قوم لوط فقد سبق القول على الخلاص منهم، ولذا تجاوزت الآية في الموضع الثالث البشارةَ إلى مطلق الإخبار عن إنزال العذاب بقوم لوط عليه السلام، ومن ثم لا ضرورة إلى الالتفات إليهم كما هو الحال عند البشارة التي تستحق الاهتمام بأمرها والشكر على حصولها لا سيما وقد قيد البشارة في الموضعين الأول والثاني "بِغُلَٰمٍ" إشارة إلى

(١) مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٧٣.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٧٣.

(٣) ينظر: الجنى الداني، ص٢٧.

كونه أشرف النوعين –الذكر والأنثى– إذا ما فاق البنت خِلقةً وخُلُقًا، وإلا فلا فإن الابن يكون دون البنت إذا كانت البنت كاملة الخِلْقة حسنة الخُلُق والابن بالضد(١).

هذا، بالإضافة إلى الشروع في وصف الغلام بالعلم. يقول فخر الدين الرازي: "ثم إنهم تركوا سائر الأوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واختاروا العلم إشارة إلى أن العلم رأس الأوصاف ورئيس النعوت"(٢).

هذا، ولعل وجه الإغراء في الأخذ بالطمأنة لإبراهيم– عليه السلام –في نهيه عن الخوف ثم الأخذ في تعداد أوصاف البشارة وبيان ماهيتها ما يتوافق مع شدة الخوف الذي كان عليه إبراهيم وقت إنكاره أمر هؤلاء الضيوف الغرباء، فالموضع الأول نجده يفيض بشعور الخوف، حيث طي رد السلام على الأضياف بمطلق الإخبار عن الخوف، إذ جملة " إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ " جاءت مفصولة بدون عطف لأنها جواب عن جملة فقالوا سلاما"(٣)، ثم التعبير عن الخوف بالوجل خاصة إشارة منه عليه السلام إلى تمكن الخوف من قلبه، فقد خُص الوجل بالقلب كما جاء في قوله تعالى:" ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ " [الأنفال:٢ – الحج:٣٥].

أما بالنظر في الموضع الثاني نجد إيثار التعبير بفاء التعقيب في قوله: "فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً " وما تدل عليه من شدة الانفعال وأنه لا بد وأن يكون هناك أمر جلل وراء هؤلاء الأضياف فهم على غير العادة التي يُرى عليها الكثير من الأضياف حينما يمرون به عليه السلام لا سيما وقد قام بكرم الضيافة على أكملها، حيث راغ هو ولم يقل لأهله هاتوا"، والروغان يدل على السرعة احتفالا بضيوفه وإكرامًا لهم، ثم اختيار الأجود لهم من اللحوم بقوله: "فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ" مع تقريبه لهم وهم في مجلسهم دون نقلهم

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٨/ ١٧٧.
(٢) مفاتيح الغيب، ٢٨/ ١٧٧.
(٣) التحرير والتنوير، ١٤/ ٥٧.

إلى مكان الطعام[1]، فكان التصرف الطبَيعيّ لهم تجاههم أن يقابلوا احتفاءه بهم بقبول ضيافته، إلا أنه لما رأى منهم تصرفًا على غير العادة وجد ما وجد في نفسه منهم على النحو الذي أفاضت به الفاء في قوله: " فَأَوْجَسَ " حيث إن حالهم أدعى إلى الخوف منهم وعدم الاطمئنان لهم، فلاءم ذلك الأخذ في الإغراء بالطمأنة له عليه السلام وهذا ما لا نجده في الموضع الثالث حيث التعبير بالواو في قوله: " وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً " لإرادة مطلق الإخبار عن مقابلة تصرفهم كانت بماذا؟، ولذا عدد أوصافه وتصرفاته تجاههم فجاء بقوله: "نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً"، الأمر الذي لاءم معه عدم الوقوف عند البشارة وذلك بمجاوزتها إلى مطلق انصراف الأذى عنهم –إبراهيم وأهله– على النحو الذي تبين سابقًا.

ب – طمأنة النفس في مقام الخوف من عدم القدرة على حماية الضيوف الغرباء.

ولا يكون ذلك إلا حينما يكون هناك نوع خطر خاص متوقع حصوله فيهم؛ نظرًا لتفشّيه وسيطرته على من حوله. وقد جاء هذا المعنى في موضعين من مواضع آي القرآن الكريم:

١ –قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت: ٣٣– ٣٤].

٢ –قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، ١٧٧/٢٨.

بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾[هود:٧٧- ٨١].

سجَّل هذان الموضعان "مشاعر لوط عليه السلام، كما سجلا حواره مع قومه"(١) فاتفقا في تصوير هذه المشاعر حيث الاستياء والضيق الذي ينم عن الحيرة والشتات إثر مجيء الرسل "على صورة شبابٍ مُرْدٍ من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة الله"(٢)؛ وذلك" لِما يُعلم من عادة معاملة قومه مع الوافدين على قريتهم"(٣).

ومع هذا الاتفاق نجدهما اختلفا من حيث الإبانة عن أثر الاستياء والضيق نتيجة الخوف قوة وضعفا، مما ترتب على ذلك اختلاف طريق الطمأنة، فبينما جاء الموضع الأول ليصور لنا مشاعر لوط عليه السلام بالاستياء والضيق إلا أنه يخبرنا عن ذلك وقد اقتصر على تصوير مشاعره، بينما جاوز ذلك في الموضع الثاني إلى تصوير حال الجماد من حوله على النحو الذي أخبر به في قوله: "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ"، فمن فرط ضيقه النفسي وحيرته في كيفية التصرف والنجاة من مأزق هذا الموقف نسب العصيب وهو الشديد من الأمر(٤)

(١) الخوف في القصص القرآني، ص٦٢.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٧٧.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٠/٢٤٤.

(٤) يقال اعصوصب اليوم والشر: اشتد وتجمع وهو مشتق من قولك: عصبت الشيء إذا شددته. ينظر: لسان العرب، ١/٦٠٢ (عصب).

إلى الظرف "اليوم" على سبيل المجاز العقلي، وذلك لأن اليوم هو يوم ثابت كبقية الأيام لا يتغير وإنما الذي يتغير هو ما يَجِدُّ فيه من أحداثٍ ومواقف تجعلنا من فرط التأثر بها ننسبها إلى يومها الذي وقعت فيه، لا سيما وقد صور لنا القرآن الكريم كيف كان لوط عليه السلام مراودًا لأهله ومُغريًا لهم ببناته في قوله: "قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ"، وهو ما أكده موضع آخر جاء في سورة الحجر من قول الله تعالى:" وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ٦٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١"[الحجر:٦٧- ٧٤] على سبيل الوقاية لأضيافه، وهذا غاية في الكرم كما ذكر الزمخشري[1] الذي يريد به أن يحقق المِنْعةَ لأضيافه من وقوع الرذائل بهم، ثم إرادة الاستعاضة لقومه عما يطلبونه ببناته الذين هم أمثال أتباع الفطرة السليمة، فيضمن بذلك السلامة للجميع، فلمَّا لم يتحقق ذلك اشتدَّ أسفُه وعَظُمَ ضيقُه حتى تراءى له انعكاس أثر ذلك على اليوم الذي وقع فيه هذا الحدث، وهذا ما لم نلمسه في الموضع الأول، فاقتصار الموضع الأول على مجرد الإخبار عن مشاعر لوط عليه السلام جراء قدوم أضيافه عليه هو الملائم لسياقه، فبالرجوع إلى سياق الموضع الأول نجده قد أنبأ عن هذا الإخبار، إذ لوط عليه السلام كما أنبأنا بحرصه الشديد على حماية أضيافه من خبائث قومه في الموضع الثاني، نجده في الموضع الأول خرج إلى مطلق الاقتصار على الإخبار عن مشاعره؛ فقد كان أكثر تقريعًا لهم على سبيل المواجهة قبل هذا الموضع حتى يفيد استحقاقهم العذاب وذلك في قوله تعالى:" وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٥٣٨هـ)، ٢/ ٥٨٥، ط الثالثة، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٧هـ.

وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ " وكأنه أراد إعلامنا بسأمه منهم، وأنهم ليس من ورائهم سوى الضيق والأسى، ولذا لما وقف عند مجرد الإخبار عن مساءته منهم وضيق ذرعه بهم كان إرداف ضيقه بطمأنته" وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ "؛ إحكامًا للموقف، وذهابًا إلى الرد على الحالة التي كان عليها لوط عليه السلام. وهذا على خلاف ما نرى في الموضع الثاني، فالموضع الثاني كما تبين سابقًا يدل على أنه –لوط عليه السلام– "كان في غاية القلق والحزن بسبب إقدام أولئك الأوباش على ما يوجب الفضيحة في حق أضيافه"(١)، ولذا انعكس أثر ذلك في حواره مع أهل بلدته وهو ما أكدته الحيرة والاضطراب في نوع الاعتصام بالقوة التي تعينه على الانتصار من قومه، وهذا على النحو الذي حكاه المولى عز وجل على لسان لوط عليه السلام:" لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ" [هود:٨٠]الأمر الذي ترتب عليه اختلاف طريق الطمأنة، فالموضع الأول كان ذهابه إلى طريق النهي المباشر عن الخوف، بينما سلك به للطمأنة في الموضع الثاني طريق الخبر المؤكد، وذلك لأن الإساءة والضيق في الموضع الأول كانت مفاجئة للوط عليه السلام وآتية له من غير ريث(٢) مما يدل على ظهور علامات الضيق والأسى عليه، فلاءم ذلك التعبير بالنهي عن الخوف لأنهم أرادوا مطلق تأمينه بسرعة إحلال الطمأنة به توافقًا مع الحالة التي رأوها أمامهم منه حتى تزول تلك الحالة التي اعترته فور طمأنته كما هي جاءته فور رؤيتهم ومجيئهم عنده، ولذا عمدوا إلى الجمع بين النهي عن الخوف والحزن للإشارة إلى أنه مستعملٌ لهما في غير موضعهما؛ لأن "الذين سيهلكون ليسوا أهلًا لأن يُحزن عليهم، ومن أولئك امرأته لأنه لا يُحزن على من ليس بمؤمن به"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٨١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٠/ ٢٤٤.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٠/ ٢٤٥.

أما الذهاب إلى اتخاذ أسلوب الطمأنة بأسلوب الخبر المؤكد في الموضع الثاني؛ لأن لوط عليه السلام في هذا الموقف أحوج إلى طمأنة قلبه وتهدئة روعه، فهو المضطرب صاحب الحيرة في الالتجاء إلى من يسانده في مواجهة قومه ودفاعه عن ضيفه لا سيما وقد خسر في نتيجة مراودة قومه؛ إذ لا إجابة منهم ولا قدرة على ثنيهم عن نيتهم الخبيثة، الأمر الذي جعل الطمأنة في الموضع الثاني تأتي وقد أخذت أخبارًا عِدة في صورة بِشارات متنوعة "أحدها: أنهم رسل الله. وثانيها: أنَّ الكفار لا يصلون إلى ما هموا به. وثالثها: أنه تعالى يهلكهم. ورابعها: أنه تعالى ينجيه مع أهله من ذلك العذاب. وخامسها: أنَّ ركنك شديد وأنَّ ناصرك هو الله تعالى فحصل له هذه البِشارات"(١).

هذا، وإذا كانت الطمأنة في الموضع الثاني أخذت أخبارًا عِدة لتقابل في ذلك شدة روع لوط عليه السلام فإنه في الموضع الأول جمع إلى الطمأنة بعدم الخوف الطمأنة بعدم الحزن، لأن الخوف مولد للحزن، فكان من الضروري نفي الخوف والحزن في قوله تعالى:" وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ " بالإضافة إلى إشعاره بأنه ليس هناك ما يدعو إلى حلول ذلك به، ولذا جاء التعليل بقوله:" إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ "، حيث إن خوف لوط عليه السلام لم يكن لأجل خوفه على نفسه وإنما هو خوف على الملائكة الذين جاءوا في صورة رجال حِسان، فكافئوه بمقابلة خوفه عليهم عدم حزنه على هلاك قومه فجاء التعليل كما أخبر عزَّ وجل بقوله:" إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ". هذا، ولكي تقع طمأنته بعدم خوفه وحزنه موقعه جاء استثناء امرأته من عموم أهله؛ حتى يعلم بأنها ليست أهلًا لأن يحزن عليها(٢)، فيتحقق عدل الله عز وجل بأن كل امرئٍ بما كسب رهين.

---

(١) وروي أن جبريل عليه السلام قال له إنَّ قومك لن يصلوا إليك فافتح الباب فدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم. مفاتيح الغيب، ١٨/ ٣٨١.

(٢) حيث كانت تدل القوم على ضيوف لوط عليه السلام حتى كانوا يقصدونهم مما يدل على أنها كانت من أتباع قومها الخاسئين لا تابعة لزوجها الحكيم. ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٥/ ٥٣.

ج – طمأنة النفس في مقام الخوف جراء تحول العصا عن طبيعتها الأَصلية إلى حية تسعى:

لم تكن حادثة تحول العصا عن طبيعتها هي الحادثة الفريدة من نوعِها، فقد تنوعت المظاهر الطبيعية الخارجة عن حقيقتها الكونية التي فطرها الله على صورة معينة إلى صور غير معهودة مما تدل على عظم القدرة الإلهية(١)، بل إنه لا يستطيع أحد إخراجَها عن طبيعتها التي جُبِلت عليها إلا الذي خلقها؛" إذ إنَّ السنن الكونية لا يخرقها إلا الذي وضعها ورتبها وهو الله تعالى"(٢)، وهذا يدل على أنها خارقة للعادة التي إذا ما قابلها الناس أحدثت فيهم نوع خوف وفزعة، فلا "ريب أنَّ من شرط آيات الأنبياء عليه السلام أن تكون خارقة للعادة وألا تكون معتادة للناس"(٣). ولا يختلف الأنبياء عن غيرهم من الناس خوفًا ورهبة من معاينة أمر خرج عن عادته إلى عادة غير مألوفة لا سيما إذا كان هذا الأمر هو في حقيقته أمر مثير للخوف والرعب، فخروج العصا أو تحولها عن طبيعتها إلى نوع جماد آخر مثلًا كحجر أو سيف لا نظنه أمر يُغيِّبُ العقل عن وعيه خوفًا وفزعًا كما خروجها إلى حية تسعى، فالعقل أكثر ذهابًا إلى الخوف والفزع من ذهابه إلى الاتعاظ والاعتداد بقدرة الله عز وجل في مثل هذا الموقف، فذلك –أي عدم الخوف من تحول الشيء من جماد إلى جماد آخر– أمر قد فُرِغ من إدراكه بل و التسليم به، أما ذاك –من تحول الجماد إلى حيوان– هو ما قابلته النَّفس البشرية النبوية لدى موسى عليه السلام بالخوف والفزع،

وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع:

(١) كضرب البحر حتى انفلق، والحجر حتى انفجر منه الماء. ينظر: مفاتيح الغيب، ٢٢/ ٢٤.

(٢) السنن الإلهية ودلالاتها على مسائل الاعتقاد من خلال القرآن الكريم "دراسة وصفية تحليلية" لـ/ د. إبراهيم بن عبد الله بن صالح المعثم، ص١٦٣.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص١٦٢.

١- قال تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [طه:١٧- ٢١].

٢ - قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النمل:١٠- ١١].

٣ - قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[القصص: ٣١].

في هذه المواضع يظهر تفاوت دبيب الخوف في نفس موسى عليه السلام **جراء انقلاب العصا حية تسعى، ففي الموضع الأول نستشعر خفة حدة الخوف عما نلمسها في الموضعين الآخرَين، فقد بلغت نفسه ذروتها خوفًا فيهما، مما ترتب عليه تفاوت درجات الطمأنة، ففي الموضع الأول نرى نفس موسى** عليه السلام **متأرجحة بين الثبات والخوف ليست على درجة الخوف والفزع الواضح في الموضعين الآخرين، فهي كذلك في الموضع الأول لأنها في ظل التعرف على جانب من جوانب قدرة الله عز وجل بأنها مخالفة لقدرة غيره من البشر، فيكون على أتم الاستعداد لمواجهة فرعون وسحرته المَرَدة، والله عز وجل لم يقتصر على هذا الأمر-من قلب العصا حية- فقط بل سبقه بالإخبار عن اطلاعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة إلى السماء كما ورد في سورة النمل والقصص، وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه، ثم إنه مزج اللطف بالقهر فلاطفه أولًا بقوله:" وأنا اخترتك ثم قهره بإيراد التكاليف الشاقة عليه**

وإلزامه علم المبدأ والوسط والمعاد ثم ختم كل ذلك بالتهديد.. إلخ"[1]، فجاء حديث العصا في ظل أمور أُخر جعلته يأخذها في عدادها دون نقصان لواحدة عن غيرها، الأمر الذي أوحى لي كباحثة عدم انصراف جل خوفه عليه السلام من هذه العصا فقط؛ فالله عز وجل "لما تكلم معه أولًا بكلام الإلهية وتحير موسى من الدهشة تكلم معه بكلام البشر إزالة لتلك الدهشة والحيرة، والنكتة فيه أنه لما غلبت الدهشة على موسى في الحضرة أراد رب العزة إزالتها فسأله عن العصا.. إلخ"[2]، ثم كان اقتصاره على مطلق وصفها بأنها حية تسعى، بالإضافة إلى تقديم الأمر بالأخذ لها على سبيل القوة والتثبيت المستوحى من النهي عن الخوف في قوله:" قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ"- هو من الملائم في سبيل إعداد موسى عليه السلام لمواجهة فرعون؛ لأن في ذلك نوع تدريب لموسى عليه السلام على ما سيواجه به هو وسحرته المردة، ومن ثم لما كان المغزى الرئيس هو تعريف موسى عليه السلام على جانب من جوانب قدرة الله عز وجل بأنها مخالفة لقدرة غيره من البشر كان وضوح خفة حدة الخوف، ولذا كان انصراف التعليل اللاحق للنهي عن الخوف إلى التعليل المتعلق بالحديث عن العصا ذاتها دون التفاتٍ لنفس موسى عليه السلام كما هو في الموضعين التاليين، فمع اتفاقهما مع الموضع الأول بمجيء أسلوب الطمأنة بأسلوب النهي المعلل في قوله:".. يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ"، وقوله:".. يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ" إلا أنهما خالفاه في تعلقهما-أي تعلق التعليلين في الموضعين الثاني والثالث- بذات موسى عليه السلام، وذلك لأن السياق ذاته في هذين الموضعين متعلق بالحديث عن أمر العصا التي أراد الله عز وجل من خلالها إثبات عظيم قدرته من شيء لا يضر ولا ينفع، وأن هذه الخشبة هي مناط معجزة موسى عليه السلام في الغلبة على قومه، فإذا ما خاف أمرها في حضرة ربه يكون قد سبق له عهد بها على حال انقلابها إذا ما "شاهده عند

(١) مفاتيح الغيب، ٢٢/ ٢٤.

(٢) السابق نفسه.

فرعون"[١] وهو ما أكدته الآيات إذا ما أخذت في تواليها حتى تمت الإشارة إلى سبب انقلابها حية "لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوة نفسه"[٢] لا سيما وقد ذكره ربه بعدم خوفه منها لأنها ما هي إلا سَحْقًا لصنيع قومه الزائف في السعي للغلبة والنصر وهذا في قوله تعالى:" قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ "[طه: ٦٥-٧٠]. هذا، ولا شك في بيان شدة الخوف في الموضعين الثاني والثالث، حيث نرى انعكاس أثره على نفس موسى عليه السلام الذي قد بينه الله عز وجل في وصف حاله جراء انقلاب العصا حية، فوصفه في الموضعين بقوله: "وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ"، وهذا لظنه أنَّ ذلك لأمر أريدَ به"[٣].

ومع اتفاق الموضعين في مجيء طريق الطمأنة بالنهي المتعلق بذات موسى عليه السلام، إلا أنهما اختلفا في بيان حقيقة التعليل، فبينما هو في الموضع الثاني من المرسلين نراه في الموضع الثالث والأخير من الآمنين، فهو وإن فهم تحقيق الطمأنة ضمنًا في الموضع الثاني ومن باب الأولى في الأول، فقد تحقق الأمن في الموضع الأخير حقيقة، حيث ذكره صريحًا بيّنًا دون أدنى شك في تحققه، فأصل الأمن هو:" طمأنينة النفس وزوال الخوف"[٤]، وهو ما يتوافق مع صدق إخبار الله عزَّ وجل بضمان تحقق الأمن لموسى عليه السلام، وعدم مساسه والنيل منه من قِبَل قومه لا سيما وقد

(١) مفاتيح الغيب، ٢٢/ ٢٧.
(٢) السابق نفسه.
(٣) مفاتيح الغيب، ٢٤/ ٥٤٥.
(٤) المفردات في غريب القرآن، ص٩٠.

أوجس في نفسه خيفة جرَّاء مواجهة سحرِهم، فجاءت التذكرة له بقول الله تعالى:" قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ"؛ لتؤكد عملية الطمأنة وتحقيق الأمن له عليه السلام.

د – طمأنة النفس في مقام الخوف من رؤية الناس فجأة:

عرض القرآن الكريم كثيرًا لبيان أثر الفجأة بأنها نوع من أنواع العذاب لا سيما العذاب النَّفسي، حيث الفزع وإحداث الاضطراب للنفس. وأكثر ما يكون ذلك متعلقًا إنما هو يتعلق بالمكذبين والمعاندين(١)، حتى إذا أخذ الكلام منعطفًا لبيان ما يستحقه الصالحون جراء هذا الفزع بدا لهم ما يستحقون، حيث تتجلى الرحمة في ثوب الطمأنة لهم، الأمر الذي يدلنا على أن الفزع الذي يعرضون له مما يحدث إنما هو خوفٌ عرضيٌّ زائلٌ، وهذا ما لمسته الدراسة في حادثة خوف داوود عليه السلام جراء فزعه ممن تسللوا إليه في محرابه الذي اعتاد أن ينقطع فيه لعبادة ربه فلا يغشاه فيه أحد إلا بإذنه، ولا شك في مثل هذه الحالة تكون النفس عرضة للفزع إذا ما فاجأها أحدٌ بطريقٍ غير متوقع، على النحو الذي أخبرنا به الله عز وجل في **موطن واحد** فقط عنه عليه السلام، **حيث قوله:**

*﴿ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص: ٢١- ٢٢].

جاء طريق الطمأنة في هذا الموضع حيث قول الله عزَّوجل على لسان الخصم ".. لَا تَخَفْ.." – بطريق النهي. وقد طابق الأسلوب مقامه، فالمقام مقام فزعٍ وخوفٍ مفاجيء يتطلب من الرد السريع الذي يتناسب وسرعة الطمأنة لتتقابل وحال الفجأة،

(١) ينظر: المفاجآت في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"، لـ/ أ. م. د. طه سبتي إبراهيم، ص٩٤٧، بحث بجامعة بغداد، كلية التربية –ابن رشد، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية.

فهم لا يريدون تحقيق خوفه ومطلق تفزعة قلبه، وإنما كان مجيئهم على هذه الحالة التي أحدثت له فزعًا لأمر غير ذلك، ألا وهو الإبانة عن قضيتهما وما تتطلبه من الحكم بالعدل فيما وقع بينهما من خصومة في شركتهما؛ ولذا بدأ بخبر الجملة الاستئنافية ".. خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ.." أي "قالوا لداوود: لا تخف، نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحكم الحق"، وذلك لسرعة الترجمة عن حالتهما مما يترتب على ذلك العمل من سرعة صرف ذهن داوود عليه السلام عن الخوف إلى مطلق قضيتهما دون الوقوف كثيرًا عند حالة الفزع هذه، وكأنهما يقولان له: هناك أمر جلل هو الأحق بالتفكير فيه والانصراف إليه.

ومن الملاحظ في الإخبار عن حالة الاضطراب التي عاشها داوود عليه السلام التعبير عنها بتعبيرين، الأول هو: "الفزع"، والثاني هو: "الخوف"، وذلك حيث إنه في التعبير الأول إخبار من الله عزوجل، وترجمة عن حالة داوود عليه السلام التي كان عليها وقتئذٍ بأنها كانت حالة عرضية له نتيجة رؤيته الخصم قادمًا عليه بطريقة غير مألوفة تُريب الناظر[١]، فالفزع:" انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف"[٢]، والله عز وجل يعلم أن داوود عليه السلام غير خائف خوفًا مطلقًا من الخصم؛ وإنما كان ذلك لأجل الهيئة التي أتوا بها عليه، فلاءم علمه عزو جل بذلك التعبير بالفزع.

أما الذهاب إلى التعبير بالخوف في التعبير الثاني؛ فهو ما لاءم الطبيعة البشرية ومدى تصورهم تلك الحالة بأنها يعبر عنها بالخوف على سبيل العموم، لا سيما إذا ما لاحظوا بوادرها فهم لا يفصلون في ذلك[٣]، ومن هنا أدركوا أنَّ الحالة التي تسللوا بها على داوود من الحالات التي تريب ومن شأنها أن تُحدثُ خوفًا "ومن شأن النفس

(١) التحرير والتنوير، ٣٣/ ٢٣٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص ٦٣٥.

(٣) وهذا من الإعجاز، فخالقنا عزوجل هو الأعلم بحقائقنا ودقائق أسرارنا.

البشرية أن تفزع عندما تفاجأ بحالة كهذه الحالة"[1].

هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن انصرافهم إلى الدقة في التعبير عن حالة داوود عليه السلام هو الأهم عندهم قدر انصرافهم إلى المشكلة الأم، وهي النظر فيما بينهما من خصومة؛ ولذا كان وقوفهم عند مطلق الأخذ في طلب الكف عن الخوف من قِبَل داوود عليه السلام حتى يسحبوه معهم في أمر خصومتهما بالحكم العدل وهدايتهما إلى الحل الأسلم.

ه – طمأنة النفس في مقام الخوف من الطغاة.

تنوعت صور الخوف من أهل الطغيان في القرآن الكريم، وكيف كان علاج ذلك عند مواجهتهم، فتارة يشير إلى أنه بمجرد البعد عن محيطهم فقد نجا، وتارة يكون باتباع طرق معينة يكمن فيها كيفية الصمود أمامهم والغلبة على فعالهم. وسوف تتناول الدراسة بصدد هذا الموضوع **ثلاثة مواضع** جاءت بيِّنة تحت موضوعها على النحو التالي:

١- قال تعالى:﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[القصص: ٢٥].

٢- قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: ٣٣- ٣٥]

(١) الوسيط، للطنطاوي، ١٢/١٤٥.

٣ -قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ ﴾[طه: ٤٥-٤٧]

بالتأمل في هذه المواضع الثلاثة يلاحظ تفاوت أثر الطمأنة في كلٍ، حيث اختلاف المطمئِن فبينما جاءت في الموضع الأول من قِبَل "شعيب الرسول عليه السلام "[(١)]، جاءت في الموضعين الآخرين من قِبَل الله عز وجل، مما جعل للطمأنة أثرًا متفاوتًا في نفس المُطَمْئَن؛ إذ شتان ما بين المطمئِنَيْنِ، فطمأنة شعيب طمأنة مؤقتة ومحددة بحدود المكان الذي هو قاطن فيه معه، بينما طمأنة الله عز وجل طمأنة دائمة وملائمة لكل موطن وزمان يكون فيه موسى عليه السلام ومن اهتدى بهديه، وهذا هو الملائم للقيام بالرسالة على النحو الذي أخبر به الله -عز وجل- موسى عليه السلام في قوله تعالى:" يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ " [النمل- ١٠]، مما يأخذنا إلى ضرورة الاعتصام بحبل الله عز وجل، وضرورة استحضاره في أنفسنا بأنه هو الملاذ الوحيد والضامن الأوحد لتحقيق أمننا وأماننا، فلا شك أنَّ الموازنة هنا قيّمة.

أيضًا مما يثبت مدى تفاوت المطمئِنَيْن في كل، أن الطمأنة في الموضع الأول وهي آتية من جانب شعيب عليه السلام يشوبُها نوع قلق وعدم طمأنينة تامة محققة لموسى عليه السلام ، فهي طمأنة إنسان لإنسان غير مؤكَّدة الحدوث، حتى وإن جاء التعبير بالماضي في "نجوت" الذي يفيد تحقق الحدوث، إلا أنه هنا جاء ليشعرنا بالتفاؤل وأنه لا يلقى من أهل مدين إلا كل ما هو خير، وأنه ليس له هنا أحد يكيد له كما كان سيلقاه إذا ما استمر وجوده بين ظِهْرانَي بني إسرائيل دون أدنى ما يثبت تحقق حدوث ذلك، بينما نرى الطمأنة في الموضعين الآخرين قد اتسمت بأمور عدة عملت على

(١) التحرير والتنوير، ٢٠/ ١٠٣.

تأكيد معنى الطمأنة وأنها متحققة واقعة لا محالة وإن تفاوتت درجة الطمأنة بين هذين الموضعين، فالموضع الثاني ينتقل بنا من آليات الطمأنة الأرضية حتى تصل بنا الطمأنة في الموضع الثالث إلى قمتها في آليات الطمأنة الإلهية، ففي الموضع الثاني يعمل الله عز وجل على تأمين محيط موسى عليه السلام ممن هم حوله بـ "إيجاد الجماعة المؤمنة التي تشد العضد"[١] على النحو الذي توقع موسى عليه السلام أن يجده في أخيه، فاستجاب الله عز وجل له فقال:" سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ "، بينما يتولى الله عز وجل بنفسه تأمين محيط موسى عليه السلام توليًا مباشرًا ويهيئ له أجواء تبليغ رسالته في الموضع الثالث على سبيل الترقي، فيعقب النهي عن الخوف بأنه هو الحافظ والمانع. وإحاطته عز وجل لهما في قوله:"إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ "، وهذا ما أشار إليه فخر الدين الرازي بقوله:".. فبين سبحانه وتعالى أنه معهما بالحفظ والعلم في جميع ما ينالهما وذلك هو النهاية في إزالة الخوف"[٢].

وجاء من مؤكدات الطمأنة في الموضع الثاني طريق الخبر الخالي للدلالة على أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء، والقاهر فوق كل شيء، والقادر على كل شيء، فلا يراجعه أحد ولا يعجزه شيء على ما يقدره، وإنَّ ما يحكم به ويقضيه مسلَّمٌ به واقع لا محالة، فإذا ما وعى موسى وأخوه – عليهما السلام – ذلك أدركا حقيقة أنَّ وعد الله حق، وأنَّه إذا ما وعد صدق وعده بنصر عبده، هذا بالإضافة إلى أنَّه عزَّ وجل أراد أن يبث الثقة في نفس موسى عليه السلام بأنَّ ما رجاه من ربه أمر هين ليس من الأمور التي تُستعظَم، فيلقى في قلبه الطمأنينة وتحل في نفسه السكينة، فيقوم منطلقًا لتبليغ رسالات ربه.

---

[١] – الخوف في القصص القرآني، ص١١٦.

[٢] – مفاتيح الغيب، ٢٢/ ٥٤.

هذا، بينما جاء الموضع الثالث مؤكَّدًا بـ "إنَّ"، ثم الإيغال في التأكيد بالنص على صفتي السمع والرؤية له عزَّ وجل؛ حتى يكونوا على تذكرٍ دائم بنصرة الله عزَّ وجل لهما، لا سيما وقد كررا عليه خوفهم، فالخوف الأول أعرب موسى عليه السلام عنه عما في نفسه فقط في بدء نزول الوحي في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ " [القصص- ٣٣]، ومثله قوله عزوجل:" قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾" [الشعراء: ١٢-١٤]، فبعد أن كلَّفه الله عز وجل بالتوجُّه إلى فرعون استشعر ثقل الأمانة التي حُمِّلَها وأدرك صعوبة مهمته، فصرَّح لربِّه عما يجول بخاطره من مخاوفٍ بدت فأخذ يصرح به(١)، حتى عاود الإفصاح عن خوفه مرة أخرى هو وأخوه في قوله عز وجل:" قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ". فلاءم هذا التأكيد على فرط تجبُّرِ فرعون من أن يطغى على رسل الله أن يعربا عن خوفهما مرة أخرى، ليتلاءم ذلك التأكيد على تأييدهما بالعزة والغلبة والنصر المستمد من استشعارهما معية الله لهما مما يجعلهما لا يفكران سوى في السعي لتحقيق النصر الذي وعدهم الله عزَّ وجل في قوله:" أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ".

ولعل الله عز وجل خص صفتي السَّمع والرؤية بالنص عليهما في هذا الموضع دون غيرهما من سائر الصفات؛ لأن هاتين الصفتين هما الأدل على استشعار معية الله عز وجل، حيث هما الأداتان اللتان عليهما سياق الحوار، وبهما ستكون المواجهة، فالله عز وجل هو القادر على إسماع كل منهما الآخر وهو الأعلم بفعل كل، فإذا ما استشعر موسى عليه السلام هو وأخوه هارون تلك الحقيقة واستحضرا لها في نفسيهما هدأ روعهما واطمأنَّ قلبهما -بلا شك-.

(١) ينظر: الخوف في القصص القرآني، ص١٠٥.

و – طمأنة النفس في مقام الخوف من تولي الجهلاء ولاية الأمر.

لا شك في أنه إذا تُرك الأمر للأهواء وانقطع عن الرجوع إلى مُشرّع الرسالات حصل الضياع للرعية وحل الفساد، ولذا كان من الدواعي التي جعلت للخوف طريقًا إلى النفس على النحو الذي صوره القرآن الكريم على لسان زكريا عليه السلام في موضع واحد.

قال تعالى:﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾[مريم:٥– ٧].

فجاء موطن الطمأنة في سَوْق البِشارة لزكريا عليه السلام بقول الله تعالى له:"يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا "، فمع شدة شَوْق زكريا عليه السلام لوجود مَن يطمئن به بعد موته على ما سيتركه من أمور الدين الذي يخاف تضييعه وتبديله[1] إذا ما لم يكن هناك من يُؤتمن على إقامته لما في هذا الدين من الخيرية لمن يبقى على مسيرته– مع شدة شَوق زكريا عليه السلام لذلك، نجد الطمأنة جاءت بأمور عِدَّة، حيث الإشعار بالطمأنة في ثوب البِشارة، ثم سَوق هذه البِشارة بطريق التأكيد فقال:" إِنَّا نُبَشِّرُكَ ": لأنها جاءت في طي أحوالٍ يتعذر معها الحصول، وذلك من تحقق وهن العظم الذي هو مظنة حلول الكِبَر من بعد الصغر، ثم تحول الشَّعر عن سواده إلى بياضه ليدل على "التوغل في كِبَرِ السِّن"[2] الذي دل عليه بطريق الاستعارة المكنية في قوله: " وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا "، ثم تحقق عدم الأمان

---

(١) ينظر: الوسيط للطنطاوي، ٩/ ١٢.

(٢) التحرير والتنوير، ١٦/ ٦٤.

والاطمئنان لمن بعده إذا ما مات ولم يُخلِف فيهم من يقوم على تقويم الأمر من بعده، وهو ما دل عليه التعبير بالماضي في قوله:" وَإِنِّي خِفْتُ.. " للدلالة على أن سوء الحال من بعده ينذر بذلك –من حصول ما يتطلب الخوف من تدهور الأحوال أكثر مِن بعدِه–، "فربما عَرَف ببعض الأمارات استمرارهم على عادتهم في الفساد والشر"[1].

أيضًا استشعاره باستبعاد حصول الولد وقد تقادم العهد وطال العمر ولم تلد زوجته، الأمر الذي جعله يعبر عنه بطريق الماضي في قوله:" وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا " الأمر الذي جعله يتعجب من قدرة الله كيف حدث هذا وقد وصلا إلى هذا السن في قوله: "قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا "، هذا مما جعل الطمأنة أولى أن تأتي في ثوب البِشارة حتى تكون أكفأ للعوامل التي سيقت بصددها وهي تنبيء عن استحالة وقوعها إلا من قِبَل الله عزَّ وجل الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

(١) مفاتيح الغيب، ٧١/ ٥٠٧.

المبحث الثالث

أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف الوارد في أحوال المخاطبين

بالنظر إلى لفظ أحوال نجده يشعرنا بالتعدد والتنوع لا سيما في ظل تقييده بقولنا "المخاطبين"، فالمخاطبون لا شك في اختلاف أشكالهم وهيئاتهم بل وطبائعهم اختلافًا يجعل من البديهي اختلاف أحوالهم مما يشعرنا بأن ذلك من النواميس الطبيعية التي لا تعارضها الحياة، ولذا يقولون: "حالَ الرجل يحول مثل تحوَّل من موضع إلى موضع"(١).

وطبقًا لاختلاف الأحوال فإنَّ ذلك يتطلب اختلاف الأساليب الملائمة لهذه الأحوال حتى ترى بعض الأحوال أتت لتشعر بشدة النبرة تارة وخِفَّتِها أخرى؛ إعلانًا عن مدى انفعال المتكلم تجاه المخاطب ومدى الحرص على تأكيد المعنى المراد إثباته من عدمه.

وإذا ما التفتنا إلى طمأنة النفس في مقام الخوف الوارد في أحوال المخاطبين، نجد قد تراءى لهم حالان وفقًا لطمأنتهم في مقام الخوف، فتارة جاءت الطمأنة في مقام الخوف من جلال الله، وتارة أخرى جاءت الطمأنة في مقام الخوف من الكفار.

أ- طمأنة النفس في مقام خوف المخاطب من جلال الله.

إذا ما تأملنا في كتاب الله عز وجل – القرآن الكريم- نجده يُذَكِّرُنا بعظمة الله وقدرته في كثيرٍ من المواضع، وهذا لا شك مدعاة إلى حلول الوجل في نفس المؤمن؛ لاستشعار عظمة الله عز وجل التي تجعله في حالة رهبة منه، ليتساءل: هل هو على حالٍ يليق بهذه العظمة؟!؛ خوفًا منه عز وجل وإجلالًا لقدره، وهذا ما دلنا عليه الكتاب العزيز حينما تولى أمر طمأنة النفس في مقام خوف المخاطب من جلال الله عز وجل وقوَّته. وقد رصدت الدراسة في ذلك **موضعين:**

١- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي

(١) لسان العرب، ١١/ ١٨٤ (حول).

مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم:١٣- ١٤].

٢- *قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[الإنسان:].

تأتي الطمأنة في هذين الموضعين حيث قول الله عز وجل في الموضع الأول:"... لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ"، وفي قوله:" فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ".

ويلاحظ في هذين الموضعين أنَّه مع اتفاقهما في السياق الجزئي إلا أنَّه يلاحظ اختلافهما في الأساليب، حيث القَسَم المكرر في الموضع الأول بتحقيق وتأكيد ما يضمن للمؤمنين زوال مكمن خوفهم وقتئذٍ وتحقيق دلالة نصرتهم وتأييدهم على عدوهم ما داموا قد كبَّروا الله في نفوسهم واستبدلوا الخوف من أعدائهم بإزاء هذا الموقف- من تهديد الكفار لرسلهم ولمن آمن بهم بإخراجهم من أرضهم إذا لم يعودوا في مِلَّتهم واعتقاد معتقدهم- بالخوف من الله عز وجل وحده؛ للإيمان بأن مآل كل أمر في حقيقته إلى قضاء الله وقدره عز وجل، وأنه لا حول ولا قوة إلا به وحده.

هذا، بينما يأتي طريق الطمأنة في الموضع الثاني بطريق الخبر الخالي من مؤكداته مُصدَّرًا بالفعل الماضي "فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا"، فبالإضافة إلى الإيغال في الدلالة على صدق تحقق الطمأنة وأن جزاء من يخاف الله عزَّ وجل ويخشاه ستكون الجنة مقره ومسواه- إضافة لذلك أراد الله عز وجل أن يرينا رحمته وفيض عطائه، فرحمته بطمأنة قلوب المؤمنين به الخائفين لجلاله حتى يدركوا مع عظيم قدرة الله عز وجل وشدة أخذه إلا أنه رحمن رحيم معطاء كريم على نحو ما جاء في قول تعالى:" هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ " [الرحمن:٦٠] دلنا على ذلك الفاء في قوله" فَوَقَىٰهُمُ"، فهي "للتفريع على ما تقدم ولبيان ما ترتب على إخلاصهم وسخائهم من ثواب"(١)، هذا بالإضافة إلى إشعارها بمدى رضاء الله عز وجل عن مثل هذه الطائفة من المؤمنين، ففي نص الآية على ذِكر لفظ الجلالة "الله" مضافًا إلى قوله "فوقاهم" مزيد دلالة على رضاه عز وجل، فهو الذي سيتولى تأمينهم بنفسه. أيضًا في النص على لفظ الجلالة فيه مزيد عظمة وقدرة تتناسب مع عظم الحدث الذي أنبأ عنه المؤمنون بقولهم" إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا"، كما استشعروا هم حقيقة مآل أمرهم وتعلق كل شيء في شؤونهم بربهم الذي خلق فسوَّى فعبَّروا بـ "رب" دون لفظ الجلالة "الله"؛ لأن في التعبير بالربوبية معنى "القدرة على تدبير ما ملك فقولنا رب يتضمن معنى الملك والتدبير"(٢).

وفي تقييد الطمأنة بلام القسم في "لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ" مقابلة لتأكيد قول الكفار لرسلهم "لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا"، فلا شك أن هذا التأكيد على " توعُّدهم بالإخراج بلام القَسم ونون

(١) الوسيط، للطنطاوي، ١٥/ ٢٢١.

(٢) الفروق اللغوية، ص١٨٦.

التوكيد ضراوة في الشر"[١] استلزم من القوة الهادمة لفرعنة الكفار على الرسل فقابل هذا بالقَسم في طريق الطمأنة للرسل بما "يُثبِّت به قلوبهم وهو الوعد بإهلاك الظالمين"[٢]، وتمكينهم في الأرض من بعدهم بالإضافة إلى الأخذ في التعبير بالفاء في قوله تعالى" فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ" التي تفيد الترتيب والتعقيب ليفيد صَون الرسل والمؤمنين بهم عن الرهبة والخوف بل مطلق عدم السماح لما قالوا باختراق آذانهم؛ حتى لا تتزعزع ثقتهم في ربهم بنصرتهم وتحقيق ما وعدهم إياه. وزيادة في هذا التثبيت أن جعل الله عز وجل طمأنة رسله وعباده المؤمنين سنة من السنن الكونية الباقية الدائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث العود إلى التأكيد على تحقيق هذه الطمأنة "المذكورة من الإهلاك والإسكان المأخوذَيْنِ من لنهلكن ولنسكننكم"[٣] باسم الإشارة في قوله " ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ" حتى يشعرنا بعظم هذا الفضل لعظم العمل، فبالتعبير باسم الإشارة "ذلك" عمل على وضوح الغاية التي ينتهي إليها وتكون نتيجته الخوف من الله عز وجل وحده دون أحد سواه.

هذا، ولأن الخوف في الموضع الأول متعلق بأمر من أمور الدنيا، حيث عنصري الهزيمة والنصر بين الذين كفروا ورسلهم ولمن يكون في هذه الدنيا؛ فالدنيا دار صراع بين الحق والباطل، ولا شك هذا الصراع يورث نوع زعزعة لا سيما إذا ما كان الظاهر النصر والقدرة للكافرين، فلاءم ذلك أن يأتي طريق الطمأنة وهو يحدث نوع جلبة من كثرة التأكيدات لإحداث نوع تأثير في نفوس المرسلين بأن العاقبة لهم لا محالة، وهو ما خلا منه الموضع الثاني فقد جاء طريق الطمأنة وهو يحمل معنى الهدوء والثقة المطلقة في ربهم بتحقيق ما يطمئن قلوبهم، فهناك في الموضع الأول عنصران من عناصر القوة، قوة الكافرين الذي يتوهمون الغلبة بها، وقوة الله عز وجل الخالق لهم

(١) التحرير والتنوير، ١٣/٢٠٦.

(٢) التحرير والتنوير،١٣/ ٢٠٧.

(٣) التحرير والتنوير،١٣/ ٢٠٧.

وشتان ما بين القوتين –وهم لا يعتدون بذلك– فلاءم معه استشعار معنى الحدة في أسلوب الطمأنة تخويفًا وترهيبًا للكافرين وتثبيتًا وطمأنة للمرسلين ولمن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما في الموضع الثاني فنجد قد خلص الأمر إلى الخوف من الله عز وجل وما يجريه من أحداث يوم القيامة تستوجب الخوف منه ومن جلاله عز وجل، فلاءم ذلك هدوء الطمأنة بل والأخذ في تعديد وجوهها " فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا " هذا بالإضافة إلى الأخذ في الزيادة في إكرامهم، فقال عز وجل بعد طمأنتهم " وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ...إلخ الآية"، فقد استقرت الأمور وهدأت النفوس الأمر الذي لا يلحظ في الموضع الأول.

ب – طمأنة النفس في مقام خوف المخاطب من الكفار.

ما دام ذكر لفظ المخاطب بإزاء الكفار لا شك أن مفهوم لفظه يفيد الإشارة إلى المؤمن خاصة. وقد تنوعت أشكال طمأنة هذه النفس في القرآن الكريم بإزاء حالتين من حالات استشعار الخوف بإزاء الكفار، فتارة يحدث ذلك عند قلة العدد والعُدَّة في المؤمنين، بينما يقابل ذلك بالكثرة في الكافرين، وتارة يحدث عند استشعار معنى الخوف من عدم الأمان وانتفاء الاستقرار بإزاء وجود الكفار، ويرد في ذلك **مواضع ثلاثة جاءت على النحو الآتي:**

١ –قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

٢- قال تعالى:﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الأنفال: ٢٦].

٣ – قال تعالى:﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [النساء: ١٠١].

ننظر أولًا في هذه المواضع الثلاثة إلى عامل الخوف الذي تولد على إثره عامل الطمأنة، فإذا ما نظرنا إلى الموضع الأول نرى الخوف فيه خوفًا هو في الأصل خوفٌ وهميٌ ضعيفٌ لا يعتد به من بين سائر أنواع الخوف، خوفًا يحمل في طياته نوع توجيه وإرشاد إلهي معجز إلى ضرورة التنبه إلى مثل هذا النوع من الخوف، ألا وهو الخوف ممن يُظن فيهم القوة والغلبة لكثرة العدة والعتاد لديهم؛ للعمل على إسقاطه من سائر أنواع الخوف، فهو مع كونه أهون أنواع الخوف إلا أنه يملك من نفوس الكثير من الناس ما يملك ويتملك، إلا من التزم بما دله عليه الله عز وجل ، حيث الاعتصام به، والإيمان بحوله وقوته وحده على النحو الذي بدا من المؤمنين في الموضع الأول من تلك المواضع.

هذا، بينما نراه في الموضعين الآخرين هو عامل خوف وارد الوقوع حقيقة، بل من الضروري الاعتراف به وبوجوده، إذ هو في الموضع الثاني ينم عن حالة حقيقية عرض لها المؤمنون ووقعوا تحت وطأتها فِعليًا؛ فالحالة التي كانوا يعيشونها آنذاك كانت تنبيء عن ذلك، فقد كانوا أذلَّاء، قلةً، ضعفاءَ، خائفين في بدء أمرهم –من الإسلام–، فلا شك أنَّ هذه الحالة تورث نوع عدم أمان لا سيما وقد كانوا قلة ضعفاء يتوقع القدرة على الخلاص منهم.

وقد كان الخوف في الموضع الثالث وارد الوقوع حقيقة؛ لأن السفر مظنة التعرض فيه للخطر على سبيل العموم، وقد كان تخصيص ذكر الكافرين بالخوف منهم مع دخولهم في سبيل العموم؛ لأن عداوة الكافرين "للمؤمنين ظاهرة، وكراهتهم لهم شديدة.. وما تخفيه صدورهم لهم من أحقاد وكراهية أشد وأكبر"(١)، ولذا كان تذييل الآية بقوله عز وجل:" إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا" تعليل؛ "لتأكيد أخذ الحذر من الكفار دائمًا"(٢)، ومن ثم إذا ما أدركنا اختلاف عامل الخوف في كلٍ ندرك تفاوت طريق الطمأنة، فبينما نراه في الموضع الأول والثاني قد تصدرا بالفعل الماضي في قوله تعالى:" فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ... "، وقوله:" فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ..."، نجد أسلوب الطمأنة في الموضع الثالث قد خالف إلى أسلوب النفي، ولكلٍ سياقه الذي هو أدل عليه، فالتعبير بالماضي في الموضعين الأول والثاني جاء بمثابة نتيجة لحادثة كانت قد وقعت، ولذا جاء الفعل الماضي فيهما مصدرًا بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب؛ "لإرادة التسبب"(٣)؛ ليدل على عظيم النعمة التي حلت بهم ومدى عظيم رضاه عز وجل عن المؤمنين وتأييده لهم بالنصر والعزة مما يزرع في نفس المؤمن نوع أمل وتفاؤل غير منقطع وضرورة استحضار دائم لنصر الله عز وجل لعبده المؤمن خاصة؛ فـ "الإيمان هو الذي ساق لهم هذه الخيرات كلها، وأنه سيكون هذا أثرَه فيهم كلما احتفظوا عليه"(٤).

أما سَلْكُ الموضعِ الثالثِ أسلوبَ النَّفي طريقًا للطمأنة؛ لأن المؤمنين في هذا الموضع بإزاء موقفٍ لم يكن من المُتوقع السماح لهم بقصر الصلاة الرباعية في وقت

(١) الوسيط، للطنطاوي، ١٣/ ٢٨٣.

(٢) السابق نفسه.

(٣) نظرات بيانية في قصيدة جعفرية "دار الحبيب أحق أن تهواها" د/ علي عبد الحميد أحمد عيسى، ص٨٣. ،.

(٤) التحرير والتنوير، ٩/ ٣١٩.

خوفهم من بطش الأعداء بهم، فجاءت الطمأنة تحمل لهم نوع تخفيف عنهم، هذا التخفيف لا شك هو مناط الطمأنة لهم حيث ضمان عدم الإطالة منهم في الصلاة حال الخوف كما هو معهود بالصلاة وقت الإقامة من تحقق الأمان في الغالب، ومن ثم تأديتها كاملة دون قصر. يقول الإمام الفخر الرازي في هذا التخفيف:" المراد من القصر إدخال التخفيف في كيفية أداء الركعات، وهو أن يكتفي في الصلاة بالإيماء والإشارة بدل الركوع والسجود، وأن يجوز المشي في الصلاة، وأن تجوز الصلاة عند تلطخ الثوب بالدم.. إلخ"(١)، فلا شك أن مثل هذه الأمور لم تكن متاحة للمؤمنين من قبل، بل كانوا يتوقعون عكس ذلك من لزوم إتيان الصلاة على أكملها وأنه لا يصح تغيير حالتها في كل الأوضاع، فـ" كأنهم أَلِفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أنَّ عليهم نقصانًا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه"(٢)، لا سيما وقد جاءت الطمأنة متقدمة في الإخبار عنها بإزاء خوفهم، فمن الواضح أن أصل ترتيب الحدث في غير القرآن أن يُخبَر عن الخوف أولًا، فإذا ما عُقِّب بالإخبار عن الطمأنة كان ذلك هو الترتيب الطبيعي للحدث، إذ لنا أن نتخيل ترتيب الحدث في الآية أن يكون مثلًا "وإذا ضربتم في الأرض وخفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة..". ولا شك أن هذا الترتيب الطبيعي لا يعطينا من تطييب نفس المؤمنين والتخفيف عنهم ما نلمسه في نظم الآية القرآنية على النحو الذي تبيَّن.

وفي التعبير بأداة النفي "ليس" دون لا مثلا؛ لأن في هذا تمام مرضاة الله عز وجل عنهم، وأنه يريد مطلق التخفيف عنهم، فالتعبير بـ "ليس" يشعر بأنه نفي لا شك في وقوعه، بل من الأفضل اتباع طريقه في مثل هذه الحالات من خوف التعرض لنوع

(١) مفاتيح الغيب، ١١/ ٢٠٠.

(٢) الكشاف، ١/ ٥٥٨.

خطر من الكفار، وهو ما أفاده حرف الفاء المصدَّر في قوله "فليس"؛ إذ يشعر بسرعة اللجوء إلى هذه الرخصة وعدم التواني في الانتفاع بها.

هذا، وكما أن الخوف في الموضع الأول مختلف في نوعه كما تبين على النحو السابق، نجده أيضاً قد اختلف في الموضعين التاليين من حيث أخذه في استطراد الطمأنة، فهم مع طمأنة قلوبهم –بإزاء الخوف الوارد من الناس– بزيادة الإيمان والتدرُّع بالتوكل على الله كما في قوله تعالى:" ... وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ... " نجد الأخذ في الإخبار عن ما ترتب على هذه الطمأنة من خير وفير يؤكد للمؤمنين أنهم على الحق وعلى الصراط المستقيم، فلا ولي حقيقي أولى بالخوف منه سوى الله عز وجل، بل إنَّ كل ما عداه هباء لا يُلتَفتُ إليه. ولا شك أن هذه القضية قضية مهمة يلفتنا الله عز وجل إليها؛ لضرورة استيعابها واستحضارها دائمًا وأبدًا.

ومما ساعد على تأكيد ذلك ما نجده من التعبير بالفاء في قوله" فَٱنقَلَبُوا۟ " التي تجسد سرعة تحقق وعد الله عز وجل بأن التدرع به وحده والثقة في نصره وعزته بحسن التوكل عليه لا بد وأن يترتب عليه ما وعدهم الله به.

هذا، ثم التعبير عن حسن العاقبة بالنعمة وعدم الاقتصار عليها حتى وصَلَها بالفضل لـ "الزيادة في العطاء والنعمة"[1]، بالإضافة إلى الإتيان بـ" باء الملابسة" في قوله " بِنِعْمَةٍ " للتأكيد على تغيير حالتهم إلى الأفضل الذي ينتقل بهم إلى تحقيق مرضاة الله عنهم، لا سيما وقد بين مصدر النعمة بأنها من قِبَل الله عز وجل كما قال تعالى:" مِّنَ ٱللَّهِ.."؛ للزيادة في تفخيمها وتعظيمها.

(١) التفسير الوسيط، ٢/ ٣٤٣.

وفي ذِكر جانب من النعم بأنهم "..لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ" دليل على عظم عطاء الله عز وجل لعباده إذا ما أخلصوا النية وعقدوا العزيمة على إرجاع الولاء له عز وجل وتكبيره وتعظيمه عما سواه، فهذا هو دليل الإيمان الحق ولذا كان تذييل نهاية آيات هذا الموضع –الموضع الأول– بقوله:" إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ".

أيضًا فيه من البِشارة لهم عن خروجهم من دائرة أتباع الشيطان الذين له عليهم سلطان، كما في قول الله تعالى:"إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ". وقد دلَّ على هذه البشارة ما أفاده التعبير بأداة القصر "إنَّما"، فهي كالدليل على خروجهم من زمرة الضعفاء أعوان الشيطان، فيتحققوا من كونهم أنهم على الصراط المستقيم، وهذا ما أكده قول الطنطاوي:" فالمقصود بهذه الجملة الكريمة تشجيعهم وتقويتهم، وإلهاب شعورهم، إذ الإيمان الحق يستلزم الخوف من الله وحده دون سواه"[(١)]، وهو ما صدَّره لنا المؤمنون الأُوَل مذ عهد النبي محمد ﷺ، وعسى الله أن يلحقنا بهم وأن يلهمنا العمل الذي يقربنا من درجاتهم في الدنيا والآخرة.

(١) التفسير الوسيط، ٢/ ٣٤٥.

الخـــاتمة

وأخيرًا، ودَّت هذه الدراسة أن تخلص إلى أمورٍ عدة كانت هي حصيلة لِما جاء فيها، حيث خلوصها إلى سمات أبانت عن كيف كان للطمأنة في مقام الخوف – خاصة– أثرٌ بيّنٌ يدعو إلى ضرورة استحضارها بإزاء وقوع مثل هذه المخاوف التي ورد ذكرها في هذه الدراسة، لتكون قواعد يُرجَعُ إليها ويُقاس عليها في كيفية إدارة هذا الخوف وكيف يكون علاجه بالطمأنة. ومن هذه السمات ما يلي:

١ – لما كانت النفس الخائفة مختلفة مقامات خوفها كان من البديهي أن ترتب على ذلك مطابقة أساليب الطمأنة لأحوالها– لا سيما أنه كلام الله عز وجل الذي يقول فيه: "ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ.."، فكل حرف في كتابه يأبى إلا أن يعتصم بمكانه حتى إذا ما نطقنا غيره على سبيل الخطأ شعرنا فطريا بالذلل والخطأ–، فبينما ترى النفس الخائفة لا يكفيها مطلق الإخبار بالنهي عن الخوف في بعض المواقف حتى يُساق لها العديد من الأساليب ولو بطريق التكرار للأسلوب الواحد، نجد يكفيها التنبه إلى مطلق عدم الخوف في البعض الآخر، حتى يعلمنا الله عز وجل أن لكل موقف حَدَّه الذي يحدث للنفس الطمأنة بإزاء توجيهها إليه.

٢ –الاعتماد الرئيس على أسلوب النهي عن الخوف لم يمنع تنوع الأساليب في إحلال الطمأنة بالنفس كل حسب مقامه الذي اقتضى أن يكون أسلوب الأمر رئيسًا في موضع، بينما نرى غيره من الأساليب نحو النفي تارة، وتارة أخرى بطريق المحاورة القائمة على الإغراء بحصول الأمان كما حدَّثت الآية الواردة في سورة يوسف بقوله

تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم: "قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ " [يوسف: ١٤]، لا سيما وقد حشدوا من المؤكدات التي تعين على إقناع أبيهم وطمأنته بإرسال يوسف معهم كما تبيَّن.

٣ – تبين شتَّان ما بين طمأنة البشر، وطمأنة الله عز وجل لعباده، فطمأنة البشر يكتنفها الضعف المستمد من ضعف الإنسان في حقيقته، بينما هي من قِبَل الله عز وجل طمأنة مؤكَّدة الوقوع، ولذا لم ترد بكثرة في طمأنة النَّفس في مقام الخوف الوارد في القرآن الكريم بإزاء رصدي لمواطن الطمأنة محل الدراسة، فقد وردت في ثلاثة مواضع(١)، بينما وردت من قبل الله عز وجل في ثلاثة وعشرين موضعًا(٢) وذلك من عظيم رحمته عزَّ وجل بعباده، فهو الخالق لهم والعالم بمدى الأسلوب الذي يحقق فيهم دليل رحمته من الطمأنة، مما ينبغي علينا ضرورة الالتفات بجدية إلى تلك المواضع التي وجهنا الله عز وجل فيها بالنهي عن الخوف ونفيه، فهذا سَنَنُ مَن قبلَنا ومَن بعدنا، ومن ثم هو دليل من أدلة إعجاز القرآن الكريم، حيث ملاءمته لكل عصر وزمان ومكان.

٤ – ارتبط طريق الطمأنة في أغلب مواضعه بالفاء العاطفة، ليدلنا على أن طريق الطمأنة هو العلاج الوحيد للنفس في ذات الموضع الذي يساق فيه التعبير بالفاء، إذ الفاء نجدها تعمل على ضرورة الترقب لما يأتي بعدها، فهي المُرتِّبة للأحداث لتجعلها آخذة بعناق بعضها بعضا أخذًا يعمل على الإقناع الذي يصل بالنفس إلى الاطمئنان.

---

(١) ينظر البحث، ص ٢١، ٤٤، ٤٦.

(٢) ينظر بقية مواضع الدراسة في البحث من المبحث الأول إلى الثالث وهو الأخير بتقسيماتهم الداخلية .

٥ – تنوع ألفاظ الخوف ما بين لفظ الخوف وما دل عليه من دلالات أخرى[١] كلها أفضت إلى مطلق طمأنة النفس في مقام الشعور به– أي الخوف وما دل عليه–، ليدلنا على أن النفس في مقام الخوف لا تدرك الفوارق بين هذه الدلالات المختلفة، فكلُّها تجعلُ النفسَ في حالةٍ من القلق والاضطراب وهذا أحوج إلى حلول الطمأنة في النفس رحمة من الله عز وجل لعباده.

التوصيات:

النفس في حاجة إلى تربيتها وتقويمها تربية وتقويمًا ربانيًا. قال تعالى: ".. وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ " ولا يتحقق ذلك إلا بالتتبع لأوامر الله عز وجل ونواهيه، فنأتي بالأوامر ونجتنب النواهي، وهذا مضمون التوصية في هذا البحث من أن الباحثة ترمي بنظرها المتواضع إلى ضرورة تفقُّد كتاب الله عز وجل باستنباط البحوث البلاغية منه التي تتعلق بالنفس من حيث:

١ – طمأنتها في مقام استحضار ذِكر الله عز وجل وما يترتب على ذلك من الانتقال بالنفس من عالم يضج بالمكدِّرات وانعدام الأمان، فتتجدد عزيمتها، وتقوى ثقتها في ضرورة الجهاد وعدم الاستسلام لما فيه الضعف والهوان.

٢ – كما يوصي البحث –بتواضع جم– إلى ضرورة الالتفات إلى السنة النبوية المطهرة، فهي المفسرة الشارحة لما أجمل في كتاب الله عز وجل لا سيما في معاني الطمأنة، فيكون موضوع البحث "تنوع مقامات أساليب طمأنة النفس في مقام الخوف في السنة النبوية المطهرة صحيح (البخاري أو مسلم) بين تنوع أحوال المخاطبين وثراء الدلالة".

---

(١) فقد ورد الخوف بألفاظ عدة في هذا البحث ما بين دلالة الخوف نفسها، ودلالة الروع، والفزع، والخشية.

٣- هذا، كما يدعو –البحث– إلى إمكان دراسة دامجة بين أسلوبي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الحديث عن طمأنة النفس في مقام الخوف "دراسةٍ موازِنة"؛ لتبين مدى دقة الكلمة القرآنية وبيان علاقة ذلك بإعجاز القرآن.

٤- أيضًا يوصي البحث بالميل إلى دراسة تتناول دقة الكلمة القرآنية لا سيما إذا ما قيست بالشعر والحِكَم والخُطَب والأمثال في بثِّ الطمأنينة مما يُظهِر مدى إعجاز القرآن؛ حيث صلاحية ألفاظه ومعانيه لكل زمان ومكان.

هذا، والله هو الموفق.

المراجع

١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٢٩٣هـ)، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، ط الرابعة، دار العلم للملايين- بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ت/ نعيم زرزور، ط الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٣- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

٤- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ت/ مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٥- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، ت/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.

٦-العلاقات الأسرية في شِعر العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أمل نُصير، ط الأولى، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٥م.

٧-مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ٢٤٣٠هـ.

٨-لسان العرب، ابن منظور، ط الأولى، دار صادر- بيروت.

٩-التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٢٩٢هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

١٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط، الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة- القاهرة، ١٩٩٨م .

١١- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ)، ت/ يوسف الشيخ محمد، ط الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٢- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت٤٥٨هـ)، ت/ عبد الحميد هنداوي، ط الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٣- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، عابدين- القاهرة.

١٤- القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، عبد الكريم الخطيب، ط الثانية، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (٦٣٤هـ)، ت/ محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨م.

١٦- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، ت/ د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط الثالثة، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٢٦٧هـ)، ط الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٩-فن المقالة، محمد يوسف نجم(ت ١٤٢٠هـ)، ط الأولى، دار صادر- بيروت، دار الشروق- عمان، ١٩٩٦م.

٢٠- الأسلوب، أحمد الشايب، ط الثانية عشرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٢م.

٢١- صحيح مسلم (ت٢٦١هـ)، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٢- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢٣-المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، ت/ صفوان عدنان الداودي، ط الأولى، دار القلم، دمشق- بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٤- المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث.

الرسائل والأبحاث:

١- أسلوب إهانة الكفار في الدنيا في القرآن الكريم بين السياق والدلالة، دعاء محمدين محمود عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسيوط، الدراسات العليا والبحوث، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٢- الخوف في القصص القرآني، عبد القادر محمد فتحي المطري، رسالة معدة في الدراسات الإسلامية المعاصرة، كلية الآداب- جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١١م.

٣- الخوف في القصص القرآني، عبد القادر محمد فتحي المطري، ص٦٠، رسالة ماجستير بجامعة القدس- فلسطين، ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م.

٤- الخوف والرجاء في القرآن الكريم، سهاد تحسين إلياس دولة، رسالة في قسم أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، ٢٠٠٧م.

٥- دوال الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، خولة توفيق السكني، وهي رسالة معدة لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية- غزة، كلية الآداب-قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩م.

٦- السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم، صلاح الدين سليم محمد، مجلة كلية العلوم الإسلامية المجلد السادس- العدد الثاني عشر، ٢٠١٢م.

٧- السنن الإلهية ودلالاتها على مسائل الاعتقاد من خلال القرآن الكريم "دراسة وصفية تحليلية". إبراهيم بن عبد الله بن صالح المعثم.

٨- علاج مشكلة الخوف في القرآن الكريم من خلال قصة موسى وهو في البحر،. منير أحمد مقبل قاسم العواضي- د. محمد شافعي حمزة- د. محمد فتحي محمد عبد الجليل، بحث في مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا، المجلد (٦)، العدد (٢)، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٩- المفاجآت في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"، طه سبتي إبراهيم، بحث بجامعة بغداد، كلية التربية -ابن رشد، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية.

١٠- مقال بعنوان "الطريق الأمثل للتعامل مع الخلافات الزوجية"، إسلام لطفي، ت/ ١٣ أبريل ٢٠١٩م، صفحة إلكترونية بعنوان" التنوير رسالة الإسلام رحمة وعدل وسلام".

١١- نظرات بيانية في قصيدة جعفرية "دار الحبيب أحق أن تهواها" د/ علي عبد الحميد أحمد عيسى.